هل كان شاعر الألمان

جُوتَه

مُسلِمًا؟

دكتور

محمد علي البار





هَلْ كَانَ شَاعِرُ الألْمَانِ جُوتَهُ مُسْلِمًا ؟

د. محمد علي البار



مكتبة كنوز المعرفة

ص.ب: ٢٠٧٤٦ جدة: ٢١٤٨٧

هاتف: ٦٥٧٠٧٢٢ - ٦٥١٤٢٢٢ فاكس: ٦٥١٦٥٩٣

الطبعة الأولى

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

إهداء

إلى ابنتى ابتهال التى بدأت الاهتمام بجوته وديوانه الشرقى بكتابة مقال نشرته مجلة (أهلاً وسهلاً). وكنت أدفعها لكتابة فصل فى كتاب مشترك عن أعلام الأدب الغربى الذين مدحوا الإسلام وأحبّوا الرسول وأعجبوا بالقرآن. ولكن حال دون ذلك حمل ونفاس ورضاع مع عمل وتدريس فى الجامعة ودراسات عليا فكفيتها المهمة.

وإلى كل من أرّقه وأضناه هذه الأكاذيب والمفتريات على الإسلام ورسوله وكتابه العظيم أهدى هذا الكتاب، داعيًا كل من له اطلاع على إسهامات بعض علماء الغرب وأشهر أدبائه الذين أنصفوا الإسلام وكتابه ورسوله .. بل ووصل بعضهم إلى الدعوة إليه صراحة كما فعل جوته ، أدعو كل من له قدرة علمية أو أدبية أو مادية لنشر هذه الحقائق فى الغرب ذاته بكافة الوسائل ، لعل الله يفتح بذلك آذانًا صمًا وقلوبًا غلفا وأعينًا لا تبصر.

﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾

[الحج: ٤٦].



مُقَدِّمَة

يعتبر يوهان (فولفجانج) جوته (١٧٤٩ - ١٨٣٢) أحد عباقرة أوروبا فى القرن الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين وأعظم شعراء ألمانيا على الإطلاق .. وقد كان عبقريًا حقيقيًا فى مجال الشعر والأدب ، كما كان إداريًا وسياسيًا بارعًا ، تولى الوزارة فى دوقية فايمار ، وتولي رئاسة مجلسها الأعلى فأحسن الإدارة والسياسة وتدبير الاقتصاد. كما كان دارسًا للكيمياء والطبيعة والنبات والقانون وله نظريات عميقة فى تصور النبات ، كما كان يعد من الفلاسفة والمبدعين . باختصار كان متعدد المواهب لكن موهبته العظمى تجلت فى الشعر والرواية والمسرح والدراما.

وقد ظهرت عبقريته فى سن الثالثة والعشرين عندما نشر دراما قوية اسمها «جوتز فون برليشنجن» سنة ١٧٧٢ . وكان فيها رومانتيكيًا رافضًا للسلطة، مُعليًا للغريزة فوق العقل، وللفرد البطل فوق الجماهير. وهي دراما جمعت بين الحبّ والخيانة والحرب فى قصة تنبض بالحماسة للحرّية وتشدّ الانتباه من أولها لآخرها لحبكتها، وحُسن أسلوبها ، ولغتها الشاعرية . وقد تفاعل معها الشباب بصورة خاصة ، ولكنها شدّت المجتمع الأدبي الذي كان ينزع إلى الثورة فى تلك الأيام. وكانت تلك الحركة الأدبية تعرف باسم «الحركة الزوبعية» نسبة إلى الزوابع والعواصف التي هددت المجتمع والأدب القديم ، وأرادت أن تعصف به وتأتي بالجديد .

ولقد لقيت هذه المسرحية نجاحًا كبيرًا حتى أن فردريك الأكبر حرص على مشاهدتها عندما عُرضت فى برلين سنة ١٧٧٤ ، وكان مثقفًا واسع الاطلاع، فاعتبرها تقليدًا لشكسبير الذي كان يبغضه، أما صديق جوته وأحد موجهيه «هردر» فقد قال له : لقد دمرّك شكسبير لأنه نحى فى هذه المسرحية منحنى شكسبير فى مسرحياته مثل هاملت وماكبث ، مع العلم أن هردر هو الذي وجَّه جوته نحو الأدب الإنجليزي عامة وشكسبير خاصة. ولكنه كان يريد لجوته أن يلتحم بالروح الألمانية الفولكلورية بدلاً من التأثر الشديد بشكسبير.

وفى فبراير ١٧٧٤ كتب جوته الدراما والمسرحية التي وهبته الشهرة فى كل أوربا. «آلام الفتى فرتر» وهي مسرحية درامية غرامية أخذها جوته من حياته، ومن وقائع حقيقية مع صديقه كستنر وخطيبته شارلوته. وقد صُدمت شارلوت وخطيبها عندما أطلق اسمها على البطلة ووجدا مشاهد من حياتهما مع جوته فى نص المسرحية .. ولكن جوته حوّر النهاية فى قصة حبه لها، وابتعد عنها حتى تبقى مع خطيبها دوق كستنر . وجعل البطل ينتحر باستعارته مسدسًا من صديقه البرت «كستنر» لينتحر به .

وقد تُرجمت إلى الفرنسية ثلاث مرات خلال ثلاث سنوات، وإلى الإنجليزية عام ١٧٧٩ ، وإلى كل اللغات الأوربية الحية .. وصار جوته فى سن الخامسة والعشرين من أشهر كُتَّاب ألمانيا .

وأحبَّ جوته فى حياته نساء عديدات ، وكانت كل واحدة منهن لها تأثيرها الخاص ، وعادة ما يخرج من معاناته وقصة حبّه بمسرحية أو قصائد رائعة .

وعندما ذهب إلى دوقية فايمار حسب طلب أميرها الدوق شارل أوجست، وصار من رجال الدولة، ازدادت تجربته عمقًا ونضجًا ، وأحبَّ هناك شارلوت أخرى هي النبيلة شارلوت دي شتين زوجة رئيس الخيالة البارون فون شتين . وكانت تكبر جوته بسبع سنوات ، وليس لها حظ بارع من الجمال، ولكنها شدَّت جوته إلى حبِّها بدماثة خلقها ، وسعة اطلاعها ، وحصافة سلوكها ورجاحة عقلها ، وطهارتها ، فقد أصرَّت على أن يكون حبّه لها عذريًا ، وأن تعتبره أخًا لها . وكانت تعاني من كثرة الولادات والإجهاض وأنجبت سبعة من الأطفال مات منهم أربعة فى طفولتهم . وهو أمر شائع فى ذلك الزمان فقد كان جوته نفسه الابن البكر ، وأنجبت بعده أمه سبعة لم يعش منهم أحد إلا أخته كورنيليا ، والتي توفيت سنة ١٧٧٣ أي قبل جوته بخمسين عامًا . وكانت رفيقته فى طفولته ومستودع أسراره فى حياته .

وفى فايمار كتب العديد من المسرحيات مثل «اجمونت» و«افجيني» و«تاسو» . وكتب جوته للنبيلة شارلوت : « كل كلام تاسو موجه إليك» وشارلوت تحولت إلى «ليو نورا» الأميرة الجليلة التي ترتضي حب الشاعر ، ولكنها تأمره أن يكبح جماح نفسه وأن يراعي اللياقة والأدب فى علاقتهما.

وأحبَّ جوته فتاة فى الثالثة والعشرين من عمرها هي «كرستيانة فولبيوس» لأنوثتها وبساطتها ، ورغم أنها لا تعرف الشعر والأدب ولا تقارن بشارلوت المثقفة ولا مريانة الشاعرة الأديبة،إلا أنها منحته تحقيق ذاته فتزوجها .. وكان سعيدًا بها وبولدها الذي أنجبته له . ولكن ابنه كان سكيرًا وفاشلاً ، ولم يحمل من صفات عبقرية أبيه شيئًا .

وفى شيخوخته أخرج عدة أعمال مهمة منها :

١- قصة «ولهلم مايستر» : وهي تحكي قصة حياته نفسه منذ طفولته ونشأته وفورة شبابه ومطالعاته العديدة . وقصص حبه .. وفى الجزء الثاني منه وصف حياته فى «فايمار» ، وحياة البلاط والمسؤوليات التي اضطلع بها، والحاشية الأرستقراطية وصداقته بالشاعر شيلر، والناقد والأديب هردر وكوكبة من الأدباء والشعراء . وكل ذلك بعد تحويرات حتى تلائم القصة.

٢- فاوست : وهي أهم أعماله الأدبية وأشهرها. وقد شغلت تفكيره لمدة تقرب من ستين عامًا . وقد بدأ يفكر فيها فى شبابه سنة ١٧٧٢، ووضع الجزء الأول منها سنة ١٧٧٥ ، ونشرها بعد تعديلها سنة ١٧٩٠. أما الجزء الثاني فقد كتبه على مراحل ابتداء من عام ١٨٠٠ وحتى عام ١٨٣١ قبل وفاته بسبعة أشهر.

وقد استعرضنا موضوعها وقصتها فى الكتاب فلا داعي لإعادته . ولكن من المهم التنبيه إلى أن القصة تمثل مرحلتين من حياته ، ولذا فإن الجزء الأول يختلف عن الجزء الثاني فى أهدافه ومراميه .

٣- الديوان الشرقي للمؤلف الغربي: وقد كتبه بعد نضجه واطلاعه على ترجمتين للقرآن الكريم، وبعد قراءته المتوسعة فى الشعر الفارسي الإسلامي، وخاصة ديوان حافظ الشيرازي الذي أعجب به أيما إعجاب، ورأي نفسه فى حافظ وسار على نهجه وأسلوبه فى حبِّ زليخا (التي أحبّت يوسف عليه السلام).

وكان مبدأ هذا الديوان عندما انطلق جوته فى رحلة فى ٢٥ يوليه ١٨١٥ إلى منطقة الراين الجنوبية الفاتنة . ونزل ضيفاً على أسرة من أسر مدينته التي ولد فيها ، وكانت مرتع طفولته ومدارج صباه . وفى هذه الأسرة عرف مريانة فون فليمير، واشتعل قلبه بحبها ، وبادلته هي

حُبًّا بحب رغم فارق السن الكبير بينهما فقد كان جوته فى السادسة والستين ، وهي فى الثالثة والثلاثين أودونها . ولكنها كانت شاعرة رقيقة وأديبة مطلعة على حافظ الشيرازي والأدب الفارسي بجانب ثقافتها الواسعة. وافتتنت به ، أو قل بشعره وأدبه وسعة اطلاعه، كما افتتن بها شعرًا وأدبًا وجمالاً وأنوثة . ورغم ذلك كان الحب بينهما عذريًا ، وأثمر قصائد كثيرة كانت من نصيب الديوان الشرقي وبالذات كتاب زليخا ، وكتاب المغنّي من هذا الديوان .

وفى هذا الديوان يظهر إيمان جوته بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمدﷺ رسولاً ونبيًا . وقد مرّ جوته، كما شرحناه فى الكتاب، بمراحل متعددة فى إيمانه الديني . فقد كان ملحدًا ناقمًا على الكنيسة أشد النقمة فى شبابه. ويتمثل ذلك بقصيدته برومثيوس التي تحدّى فيها كبير الألهة زيوس . ثم تحول بعد ذلك مع تقدمّ السن واطلاعه على فلسفة إسبينوزا إلى وحدة الوجود.. والإيمان بإله ضمن هذه الطبيعة ، وهذا الكون . ثم بعد ذلك تأتي مرحلته الأخيرة وإعلانه الإيمان بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبجميع الأنبياء والمرسلين الذين جاؤوا برسالة واحدة ، حرّفها الأتباع وإنما الدين واحد والدين عند الله الإسلام.

وفى قصيدته عن عيسى عليه السلام يقول:

ويسوع كان طاهر الشعور

لم يفكر إلا فى الله الواحد الأحد

فمن جعل منه إلهًا فقد أساء إليه

وخالف إرادته المقدّسة

ولهذا ظهر الحقُّ لمحمد

وبه نال الفلاح والنجاح

فبفكرة الإله الواحد الأحد

ساد الدنيا بأسرها

ويتحدث عن نفسه لكي يبدأ رحلته إلى الشرق فيقول :

فلتهاجر إذن إلى الشرق فى طهره وصفائه

كي تستروح جو الهداة والمرسلين

إلى هناك حيث الطهر والحق والصفاء

أود أن أقود الأجناس البشرية

حين كانت تتلقّي من لدن الربّ

وحي السماء بلغة الأرض

ويتوجه إلى الله بالدعاء حتى ينقذه من إضلال الشيطان . يقول جوته:

يريد الشيطان أن يسلك بي مسالك الضلال

ولكنك تعرف أيها الربُّ كيف تهديني سواء السبيل

فإن أقدمت على عمل أو نشدت الشعر

فاللهم أنرْ لي جادّة الطريق

ووصف جوته الشهداء وانطلاق أرواحهم إلى الجنة والملأ الأعلى وتحدث عن شهداء بدر (وهو يقصد شهداء أحد) وتحدث عن الحورية التي تحرس الجنة والتي لا تسمح لأحد بالدخول حتى يريها جراحه التي استشهد بها.

ولطالما أعلن جوته فى هذا الديوان الشرقي عن إعجابه الشديد بالإسلام وبالقرآن، وكان يقول : «إذا كان الإسلام معناه الاستسلام لله فكلنا مسلمون» . ويقول : «ففى طهارة أرواحنا تجيش رغبة قوية حارة فى أن نسلم أنفسنا مختارين طائعين ، يحدونا الحمد والشكر لموجود غير معلوم (أي الكنة والذات) أعلى وأطهر».

وفى قصيدة « النبي » يستلهم قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ﴾ [الحج :١٥].

إذا اغتاظ أحد من أن الله
شاء أن يهب محمدًا الأمن والسعادة
فليربط حبلاً متينًا بأقوى الأعمدة
فى قاعة بيته وليشنق نفسه به
فهذا مفيد له
إذ سيشعر حينذاك بأن غيظه سيذهب عنه.

ويتحدث جوته عن «حفظة القرآن» فيقول:

قديمًا حين كان المرء يستشهد بالقرآن الكريم
كان يذكر اسم السورة والآية
فكان كل مسلم كما هو الواجب
يشعر براحة الضمير والطمأنينة
ولا يستطيع الدراويش المحدثون أن يفعلوا خيرًا من هذا
إنهم يثرثرون عن القديم ، ويصفون الجديد

فيزداد التشويش كل يوم

أيها القرآن الكريم !! أيتها الطمأنينة الخالدة !!

وفى قصيدة القدر : يستلهم قول حافظ الشيرازي: «إن أمهلك القدر فلا تهمل الطريق ، ولا تسأل لِمَ وكيفَ ؟ بل كن كالعبد المطيع ، يعمل كل ما يأمر به السلطان» وهو غاية الاستسلام لله .

يقول جوته :

إذا امتحنك القدر

فهو يعلم جيدًا لماذا

إنه يريد منك القصد

والاعتدال فاطعْ واسكتْ

وفى الحديث «عجبًا لأمر المؤمن إنَّ أمرَه كله خير وليس ذلك لأحد إلاَّ للمؤمن إن أصابته سراء شكر وكان خيرًا له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له» [الإمام أحمد فى مسنده: ١/١٨٢].

ويقول جوته فى قصيدة «الطلاسم» : (ترجمة الدكتور شهاب غانم فى ديوانه «أقمشة السماء»):

الشرق ملك لله

والغرب ملك لله

كذلك الشمال والجنوب

كلاهما إلى سلام كفه يؤوب

ووحده الذي فى عدله الكمال

من يأمر الإنسان بالصلاح كل حين

تقدست أسماؤه التي تقارب المئة

والعدل من أسمائه .. سبحانه أمين

يقودني التطواف للضياع والأوهام

وأنت وحدك الذي تقدر أن تنقذني من الهيام

فدلّني يا ربّ كلما أخطُ تلكم الحروف والنقاط

وكلما أفعل أي شيء دلّني إلى الصراط

وإن تكن من هذه الحياة

**

تدور ما لدي من تأملات

فالروح لن تضيع كالغبار فى الرياح

بل سوف تسمو للعلى فى عالم الأرواح

فلتحمد الإله حين تعصف الحياة

وحين تغدو من ضغوطها طليق .

ويقول : «الصلاة فى الدين كالتفكير فى الفلسفة . فالصلاة هي التدين.. والحاسة الدينية تصلّي كما أن عضو التفكير يفكر».

ويقول :

هل القرآن قديم ؟ هذا ما لا أسأل عنه

هل القرآن مخلوق؟ لست أدري .

أما إنه كتاب الكتب

فهذا ما أومن به.

وقد تعمدنا ها هنا الإطالة فى ذكر الأمثلة والشواهد. ولكن كتابنا هذا كله شاهد على ذلك ويعود الفضل بعد الله سبحانه

وتعالى للدكتور عبد الرحمن بدوي رحمه الله تعالى، الذي قام بجهد جبار فى إخراج الديوان الشرقي للمؤلف الغربي، وفيه تعليقات جوته نفسه التي أضافها إلي الديوان الذي نشر عام ١٨١٩ ، ثم القصائد التي نشرت بعد وفاة جوته وخاصة أنها كانت تندد بالتثليث وتدعو إلى التوحيد الإسلامي الناصع، وتعلن بكل صراحة أن يسوع عليه السلام لم يفكر إلا فى الله الواحد الأحد.

فمن جعل منه إلهًا فقد أساء إليه
وخالف إرادته المقدسة

وقد صدق جوته ، ولكنه لم يستطع أن ينشرها فى حياته . كذلك قصيدته التي ندَّد فيها بعبادة الصليب، حيث أهدي لحبيبته عقدًا من اللؤلؤ فلبسته بعد أن أضافت إليه الصليب فاغتاظ من عملها ذاك وندَّد بعبادة الصليب باعتبارها وثنية !! وهذه قصائد لم تنشر إلا بعد وفاته .

والغريب حقًا أن هناك تعتيمًا على هذا الديوان العظيم فرغم أن ول ديورانت فى كتابه الضخم (٤٤ جزءًا) «قصة الحضارة» قد تحدث عن جوته فى عشرات المواقع وأفرد له فصلاً طويلاً فى الجزء الواحد والأربعين (ص٢٤٥ إلى ص ٣٦٣) إلا أنه لم يذكر الديوان الشرقي إلا بسطرين، وأنه تبادل القصائد فيها مع مريانة الشاعرة الأدبية وأنه كتب اسمها بحروف عربية حول نافورة القلعة .

وأما دائرة المعارف البريطانية التي أسهبت فى ترجمة جوته فاكتفت بأنه كتب «الديوان الشرقي للمؤلف الغربي» فى أخريات حياته ولم تتعرض له بأكثر من ذلك، وأما الموسوعة العربية العالمية (إصدار الرياض) فلم تذكر الديوان الشرقي أصلاً . وكذلك كتاب صديق شيبوب عن جوته الذي صدر عن سلسلة اقرأ سنة ١٩٤٥، والذي أهدانيه الأخ الحبيب والصديق الوفى الأستاذ الدكتور حسان

شمسي باشا عندما عرف أني أكتب عن جوته، لم يذكر شيئًا عن الديوان الشرقي.

وقد كتب الأستاذ عباس محمود العقاد عن جوته (قبل كتاب صديق شيبوب) ولم أستطع العثور عليه . ولست أدري إن كان ذكر الديوان الشرقي وأفاض فيه .

وللحق فإن الدكتور عبد الرحمن بدوي، رغم أنه كان فى تلك الفترة وجوديًا ومضطربًا ، إلا أنه قد أحسن كل الإحسان بإخراج الديوان الشرقي للمؤلف الغربي. وأضاف إلى القصائد الرائعة تعليقاته الممتازة وخاصة تلك التي تشير إلي تأثر جوته فى تلك القصيدة بسورة معينة، أو بآيات مخصوصة من القرآن الكريم . وأما فى الحديث فكانت بضاعته فيه مزجاة، وكان إذا ذكر حديثًا رواه عن كتب الأدب مثل الثعالبي وغيره.

وقد دفعني ذلك إلى الاستفادة مما قدمه الدكتور عبد الرحمن بدوي- غفر الله له وأسكنه فسيح جناته- على هذا العمل الخالص.. وقد اجتهدت فى التوسع فى ذكر الشواهد فى كل مراحل جوته سواء كانت قصيدته «برومثيوس» وتأثيرات هذه القصة الدرامية اليونانية التي وضعها إيسخيليوس فى الآداب الأوروبية، أو تأثيرات ما يُسمَّي «الكتاب المقدس» على جوته . واستفضت فى ذكر تأثير القرآن، والأحاديث النبوية، والشعر العربي المماثل على أفكار جوته، وبالذات ديوان الإمام الحبيب عبد الله بن علوي الحداد [1] «الدر

---

(١) الإمام عبد الله بن علوي الحداد من ذرية أحمد بن عيسى المهاجر حفيد الإمام علي العريضي بـ«المدينة المنورة» بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين ابن الإمام السبط شهيد كربلاء الحسين بن علي ابن فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ . إمام فى الدعوة والإرشاد من تريم بحضرموت، له كتب كثيرة وديوان شعر وفاته سنة ١١٣٢هـ/ ١٧١٨م.

المنظوم لذوي العقول والفهوم» فقد وجدت كثيرًا من قصائده تتحدث عن نفس المواضيع التي تحدث عنها جوته بنفس الاتجاه الديني. والحداد عاش قبل جوته بنصف قرن من الزمان . ولا شك أن جوته لم يسمع به ولم يتأثر به ، وإنما تأثر بحافظ الشيرازي والسعدي والفردوسي.. إلخ. وهذه مواضيع يطرقها كثير من الشعراء المسلمين عبر العصور من الأندلس إلى بخاري.

المهم فى هذه القضية أن الغرب المعجب بجوته لا يعرف عن إسلام جوته ولا دفاعه عن القرآن، والرسول، وآل الرسول، وعن الشهداء، وعن وصف الجنة والحور العين شيئًا . بل إن المختصين فى أدب جوته يتجنبون الحديث عن «ديوانه الشرقي» ويكتفون بسطر أو سطرين فقط، لا يقولون فيها شيئًا ذا بال.

ونحن مدعوون إلى إظهار هذه الكنوز و إلي إقامة ندوات تليفزيونية فى ألمانيا خاصة ، وفى الغرب عامة ، عن جوته واتجاهاته الإسلامية ومدحه للرسول وللإسلام والقرآن، بل وحماسه للجهاد وتعظيمه للشهداء فى سبيل الله. وهو أمر مناقض لكل الحملات الإعلامية الخبيثة ضد الإسلام بما فيها كلام البابا الحالي بنيدكت السادس عشر (وهو ألماني أيضًا) الذي هاجم الإسلام وزعم أنه انتشر بالسيف وأنه لا خير فى تعاليمه . أفلا نحتاج فى حوارنا مع هؤلاء القوم إلى إبراز جوته وأمثال جوته من الذين دافعوا عن الإسلام .

إن إيجاد برامج تليفزيونية وكتب ومحاضرات عن جوته ، وعن مجموعة الألمان الذين دافعوا عن الإسلام مثل آنا ماري شمل التي توفيت قبل بضع سنوات والتي كتبت عشرات الكتب عن الإسلام والأدب الإسلامي الصوفى، وبالذات جلال الدين الرومي، ومثل زيغريد هونكه صاحبة كتاب «شمس العرب تسطع على الغرب»

وغيرهم كثير. إن إيجاد برامج ومحاضرات عن هؤلاء العمالقة فى ألمانيا وفى الغرب لهو عمل دعوي مهم.

ومن أدباء الغرب العمالقة الذين أشادوا بالإسلام الشاعر الروسي العظيم بوشكين وهو مؤسس الأدب الروسي الحديث، ومكانته لا تقل عن مكانة شكسبير عند الإنجليز ، وجوته عند الألمان .

ومنهم أيضًا الأديب الروسي العملاق تولستوي صاحب «الحرب والسلام» و«آنا كارنينا» وعشرات الأعمال الأدبية الرائعة . ومنهم الأديب والشاعر الهندي طاغور .. وكل هؤلاء أشادوا بالإسلام وبالقرآن وبالرسول ﷺ . فلابد من إعادة عرض وتوضيح أقوالهم وأعمالهم التي أشادت بالإسلام ونبي الإسلام وكتاب الإسلام . وهذه دعوة لكل مقتدر أن يسهم فى هذا المشروع بما حباه الله من فكر وفن ومال .

والله الهادي إلى سواء السبيل

المؤلف

جدة ٢٣ رمضان ١٤٢٧هـ

١٥ أكتوبر ٢٠٠٦م





يوهان فولفجانج جوته

J.W.Goethe

1832-1749



جوتة

(١٧٤٩ - ١٨٣٢)

ترجمة حياته

(١) الطفولة والصبا :

ولد يوهان فولفجانج جوته فى ٢٨ أغسطس ١٧٤٩ بمدينة فرانكفورت بألمانيا، وكانت «مدينة حُرَّة» يسودها التجار والأسواق. ومع ذلك كانت مقر تتويج الملوك الألمان وأباطرة الدولة الرومانية المقدسة. وفى السنة التي ولد فيها جوته كان سكانها يبلغون ثلاثة وثلاثين ألف نسمة.

وكان أبوه يوهان كاسبار جوته ابن خياط، وفندقي ميسور الحال. وقد استطاع الجد أن يجمع ثروة جيدة وعلَّم ابنه المحاماة الذي استطاع أن يبتاع بماله رتبة مستشار ملكي. وكان يوهان هذا قوي الشكيمة، صلب الإرادة ويحرص على التقاليد الموروثة، وشديدًا فى تربية أبنائه.

وقد تزوج بابنة عمدة فرانكفورت، وكانت وافرة الذكاء متوقدة الشعور كريمة الخلال وتمَّ الزواج عام ١٧٤٨، ولم يمض عام حتي ولدت شاعرنا العبقري فولفجانج جوته وكان هو ابنها البكر، ثم ولدت بعده خمسة أطفال ماتوا كلهم فى طفولتهم ماعدا أخته كورنيليا التي صارت فيما بعد مستودع أسرار أخيها[1]. وزوَّجها

(١) ذكرت دائرة المعارف البريطانية أنهم سبعة عدا جوته، ماتوا كلهم ما عدا أخته كورنيليا.

بصديقه «شلوستر» ، وماتت قبل أخيها بخمسين عامًا أو تزيد (توفيت سنة ١٧٧٧).

وكان الوالد شديدًا مع ابنه صارمًا ، وعوّد أطفاله على النوم كل واحد فى مخدعه دون أن يكون معه أحد حتى يتعود النظام وعدم الخوف من الظلام. وتلقّى الأطفال تعليمهم المبكر على يد أبيهم ، ثم على يد معلمين خصوصيين، واكتسب فولفجانج فى طفولته معرفة باللغة الألمانية ، وقراءة اللاتينية واليونانية والإنجليزية ، وبعض العبرية ، وكان قادرًا على التحدث بالفرنسية والإيطالية فى سن المراهقة. كما تعلم العزف على بعض الآلات الموسيقية ، وأن يرسم ويصور بالألوان ، ويركب الخيل ، وتعلّم الرقص وأجاده .

وقد أخذ من أمِّه روحها الشاعرة وحُبَّها للدراما . وبَنَتْ فى بيتها مسرحًا للعرائس مما جعل الطفل فولفجانج يهيم بالمسرح والشعر والأدب .

ووجد فولفجانج فرصته للانطلاق عندما انتقلوا من بيت والده لإجراء إصلاحات فيه إلي بيت جدته ، فخرج إلى شوارع فرانكفورت يلعب ويمرح مع أصدقائه ، وارتاد كل نواحي فرانكفورت بما فيها حي اليهود ، وحضر حفلة ختان وأيام اليهود المقدسة. وحين ناهز الرابعة عشرة وقع فى أول غرام من غرامياته الكثيرة التي أثمرت أكثر من نصف شعره . وفى تلك السنِّ الغضَّة اشتهر ببراعته فى قرض الشعر . فقدَّم قصيدة وكأنها من فتاة إلى فتى . واضطر الفتى أن يلجأ لجوته حتى يرد عليها شعرًا ، ففعل جوته ، ودفع الفتي نفقات نزهة إلى ضواحي المدينة . وكانت الخادمة صبيّة تدعي مرجريته ، فأحبَّها ، وكانت مرجريته هذه بطلة قصته الشهيرة فاوست فيما بعد. وقال فى مذكراته عندما بلغ الستين: «إن أول نوازع الحبِّ فى

شاب غشيم يتجه اتجاهًا روحيًا بحتًا.. وهكذا تكشَّف لي عالم جديد من الجمال والروعة بمرأى هذه الفتاة وبميلي الشديد لها».

وكان الصبية الذين يرافقهم جوته من الطبقة الدنيا من المجتمع، وقُبض على واحدٍ منهم وهو يزيّف سندات ووصايا ، فمنعه والده من الاتصال بهم، ورحلت مرجريته بعيدة عنه فآلمه ذلك .

الذهاب إلى الجامعة فى ليبزج :

وفى سن الخامسة عشرة (سنة ١٧٦٤) شهد الصبي فى مدينته حفل تتويج يوزف الثاني إمبراطورًا للدولة الرومانية المقدسة (التي كانت فى آخر أيامها قبل أن يقضي عليها الملوك الألمان والبابوات)، وفى العام التالي (١٧٦٥) رحل عن فرانفكورت ليدرس القانون فى جامعة ليبزج كما أراد والده . ولكنه كأي شاب طُلَعة وسع دائرة قراءاته وخرج عن دائرة الكنيسة، وكما يقول فى مذكراته : «ما أن وصلت إلى ليبزج حتى حاولت أن أتحرَّر كُلِّيَّة من صلتي بالكنيسة» ولم يترك علمًا من العلوم المعاصرة إلا وحاول أن يدرسه بما فى ذلك الكيمياء والتشريح وعلوم النبات ، بل وعلوم السحر والكابالا والألكيمي (الخيمياء) **Alchemy** (وهو علم تحويل المعادن الخسيسة إلى المعادن النفيسة، وهو علم باطل ووهم، وكان جابر بن حيان من علمائه وبقي إلى زمن جوته ثم تبيّن زيف هذا العلم).. وكل هذه العلوم نفعته فيما بعد فى مسرحياته وخاصة فاوست التي سيأتي الحديث عنها.

وفى هذه السّن جرّب الحفر والرسم على الخشب، ودرس مجموعة الصور المعروضة فى «درسدن»، وتكررت زيارته للمصور أويزر فى ليبزج، وتأثر بالفن الكلاسيكي . وكان الإحساس بالجمال هو فى الغالب مدخله إلى العالم الفني.

وقد اتصل بمدينة ليبزج بفتاتين كانت إحداهن «كاترينيت» أو «آنيت» كما كان يسمّيها ، وهي التي أوحت إليه برواية «بدوات العاشق»، والأخرى «فردريكه أويزر» (ابنة الرسام أويزر الذي صحبه جوته وتعلّم منه الرسم ومعاني الجمال فى الفن الكلاسيكي اليوناني) . وقد بادلته الأولي حبًا بحبٍ ، أما الثانية فصدته ولم تشجعه على الاسترسال فى هواها.

عودته من ليبزج :

وفى عام ١٧٦٨ أصيب جوته بنزيف حاد كاد يقضي عليه فعاد إلى مسقط رأسه حيث ظلَّ يُعالج لمدة عام كامل حتى شفى. وكان أبوه ناقمًا عليه إهماله دراسة الحقوق ، وتركه الجامعة وراء الأدب والفن . وأما والدته فقد تقبلته بحنانها المعهود .

السفر إلى ستراسبورج للدراسة ومزيد من قصص الحب:

وفى عام ١٧٧٠ (فى سن ٢١ عامًا) توجه إلى ستراسبورج ليتمَّ دروسه فى جامعتها الشهيرة . وقد كانت ستراسبورج ملتقى الطرق الأوروبية، ويقصدها عدد غير قليل من كبار الأدباء والمفكرين . وفى هذه المدينة تعرَّف إلى هردر الذي كان له أثر عميق فى حياته . وقد وصف جوته نفسه بأنه «كوكب يدور حول شمس هردر». وأزعجته نزعة هردر الدكتاتورية، وحفّزه إلى قراءة الأغاني الشعبية القديمة ، وكتاب مكفرسن «أوسيان» الفولكلوري ومسرحيات شكسبير . وقرأ أيضًا فولتير وروسو وديدرو ، ودرس الكيمياء والتشريح والولادة بالإضافة إلى دراسته للقانون .

وفى ستراسبورج كان للنساء الفاتنات دورهن فى محبته وشعره، فهناك لوتة (شارلوتة) ،وللي، وفردريكه بريون التي فتنته تمامًا .

كانت فى التاسعة عشرة من عمرها (عام ١٧٧١) وهي ابنة راعي كنيسة المدينة ، والذي شبهه جوته بقسيس مدينة ويكفيلد **«Vicar of Wakefield»** التي كتبها جولد سميث وأعجب بها جوته أيما إعجاب.

وكان يذهب إلى هذه الأسرة الريفية الطيبة التي لم تفسدها الحضارة وقد أحبَّ فردريكه وأحبته ، وتعاهدا على الوفاء . ولكن الزمان عصف بهذه العواطف الجياشة .

وكان خلال ذلك يكتب باللاتينية رسالة الدكتوراة التي أكّدت حق الدولة فى الاستقلال عن الكنيسة . وكان هذا الموضوع رائجًا فى ذلك الزمان . والكنيسة لا تزال تسيطر إلى حد كبير على الحكومات والدول. والصراع بين الكنيسة والسلطة الزمنية أخذ يشتد . ونال درجة الليسانس فى أغسطس ١٧٧١ بدلاً من الدكتوراه ، وودَّع فردريكه واغرورقت عيناها بالدموع وأحسَّ بضيق شديد، وتقريع الضمير لتركها ، فقد أحسَّ أنه قد أذنب بحقها حين تركها. وقد عاشت فردريكه وفيّة له ورفضت الزواج حتى ماتت سنة ١٨١٣ . وكان ذلك جرحًا غائرًا فى قلب جوته الذي شعر بأنه لم يكن وفيًا لها ، بل تركها ، وذهب فى حياته الحافلة.

العودة إلى فرانكفورت ومنها إلى درامستات :

وعاد جوته إلى فرانكفورت ليعمل محاميًا لفترة نجح فيها فى مرافعاته أمام المحاكم التي كان يستخدم فيها الأساليب الأدبية الفخمة والتي تميزت بجرأتها . ولكن الأدب كان يدعوه دائمًا لترك المحاماة لأهلها . ولم يرض والده عن ذلك فبعثه إلي درامستات ليتدرب على الأعمال القضائية فى محكمة وتزلار، ولكنه وجدها محكمة ينخر فيها الفساد والرشوة فعافتها نفسه الأبيّة، وأحبَّ جوته فى درامستات ابنة رئيس الشرطة فيها بعد أن قابلها فى حفلة، وصارت

شارلوت تملأ قلبه ليس لجمالها الهادئ فقط، بل لحكمتها وصبرها وأدبها ورعايتها لإخوتها الأحد عشر. وكانت الفتاة مخطوبة لكستنر وهو شاب فقير يعمل مثلها فى جدٍ وإخلاص لدى المحكمة العليا.

وأخيرًا قرر جوته أن ينقطع عن شارلوت ويتركها لخطيبها كستنر دون أن يفسد عليهما حياتهما . وغادرهما بعد لقاء مؤثر وقال للخطيبين : «سوف نلتقي ، إني مغادركم طوع إرادتي .. الوداع يا شرلوت .. الوداع يا البير .. سوف نلتقي» . وكان جوته سعيدًا بأنه ضحَّى بحبِّه من أجل صديقه كستنر .. وتنقَّل جوته بعد ذلك من حبٍّ فتاة إلى أخرى : «إنها عاطفة لذيذة أن نشعر فى قلوبنا بحبٍّ جديد قبل أن نُشفى من الحب القديم».

مسرحية جوتز فون برليشنجن :

فى عام ١٧٧٢وفى سن الثالثة والعشرين كتب دراما قوية ، متعاطفًا مع الحركة الزوبعية (نسبة إلى الزوابع والعواصف لأنها أرادت أن تعصف بالأدب القديم وتحل محله الأدب الجديد)، ورافضًا للسلطة، ومعليًا للغريزة فوق العقل، وللفرد البطل فوق الجماهير حبيسة التقاليد. وقد أسمى هذه الدراما الشعرية «جوتزفون برليشنجن» التي جمعت بين الحب والحرب والخيانة فى قصة تنبض بالحماسة للحرية وتشدُّ الانتباه من أولها لآخرها . ومات العاشق الخائن بالسمِّ. وأرسل نسخة من التمثيلية إلى فردريكه المسكينة حتي يسرّي عنها برؤية العاشق الخائن يموت بالسم . وعندما مُثلت لقيت نجاحًا كبيرًا ، ولكن عندما رآها فردريك الأكبر فى برلين سنة ١٧٧٤ اعتبرها تقليدًا لشكسبير الذي كان يبغضه ، ودعا المسرحيين الألمان إلى الاقتداء بالفرنسيين . أما صديقه هردر فقال له : لقد دمَّرك شكسبير، ومع ذلك مدح عمقها وقوة أسلوبها .

أما جيل الشباب فقد استقبلها بحماس فائق لأنه أشاد بالروح الألمانية القوية، وأشاد بالبروتستانت ووصف المرأة بأنها «فخر الخليقة وتاجها» وقال عن الخمر: إنها «تبهج قلب الرجل».

وفى مايو ١٧٧٢ . ذهب فى مهمة قضائية إلى فتسلار فالتقى هناك بالشاعر كارل فلهلم يروزاليم الذي وصفه جوته بأنه «يتسم بالسلوك الهادئ الرصين وبوضوح الرؤية والنشاط الذي لا يكلّ».

آلام الفتى فرتر:

فى فبراير ١٧٧٤ كتب جوته الكتاب الذي أذاع اسمه فى طول أوروبا وعرضها «الآم الفتى فرتر» وكان يفكر فى موضوعه سنينًا ، ولكنه عندما عزم علي كتابته أنجزه فى أربعة أسابيع، وفى تلك الفترة كما يقول جوته : «اعتزلت الناس كلية، ومنعت زيارة أصحابي» .

وقد استعمل وقائع حقيقية من حياته وخاصة قصته مع شارلوت وصديقه كستنر وقد صُدما بإطلاق اسمها الفعلي على بطلته .. ووصف اللقاء فى المرقص والزيارة التالية، يقول فرتر (وفى الواقع جوته يصف نفسه): «منذ ذلك اليوم تستطيع الشمس والقمر والنجوم أن تسير سيرتها فى هدوء ، ولكني لا أعي بنهار ولا ليل ، وكل العالم من حولي يتلاشى.. لم يعد عندي صلوات أتلوها إلا لها». ولكنه يحوّر النهاية لكي يقوم فرتر بالانسحاب من حياة حبيبته «لوته» (شارلوته) ويستعير مسدس صديقه البرت (كستنز) لينتحر به.

وكانت قصة آلام الفتى فرتر (١٧٧٤) حدثًا فى تاريخ الأدب فى ألمانيا، فقد عبرت عن العنصر الرومانسي فى الحركة الزوبعية ،

واستقبلها الشباب بالمديح والمحاكاة . وارتدى بعضهم السترة الزرقاء والصدرة الصفراء البرتقالية التي كان يرتديها البطل فرتر .

وبكى بعضهم كفرتر ، وانتحر بعضهم باعتبار الانتحار شيئًا عصريًا. وقالت «مدام دي ستال» (وهي من عِلْيَةِ القوم) : «إن ظهور هذه القصة سبَّب من حوادث الانتحار أكثر مما سببته النساء الجميلات» . ولكن كثيرًا من مؤرخي الأدب يقولون إنه لم تحدث حوادث انتحار بسبب هذه القصة وليس فيها تحبيذ للانتحار[1]. وقد قال له أحد القساوسة (هازمكمبف) «تلك القطعة الشرّيرة من الكتابة» .. وأردف «ليهدِ الله قلبك الضّال» فلم يزد جوته أن قال بكل هدوء : «اذكرني فى صلواتك».

وقد ترجمت القصة إلى كل اللغات الأوروبية وترجمت فى فرنسا ثلاث مرات خلال ثلاث سنوات . وترجمت إلى الإنجليزية عام ١٧٧٩. وأرسل له الناشرون يطلبون منه قصصًا على طرازها فأجاب : «أسأل الله أن لا أعود أبدًا إلى حالة عقلية أجدني مضطرًا فيها إلى تأليف مثل هذا الكتاب». وقال فى مذكراته أنه بعد أن كتبها أحسَّ وكأنه قد اعترف أمام الكاهن بخطاياه فخرج وقد تخلّص من جميع ذنوبه وخطاياه مطمئنًا ليبدأ حياته من جديد». وصار جوته فى سنِّ الخامسة والعشرين من عمره من أشهر كتّاب ألمانيا . وأدت قصة آلام فرتر إلى ما يسمي الفريترزم (الورتيرسم) ، وأن يقلّد الشباب لبس وطريقة كلام فرتر .

---

(١) ذكر ول ديورانت فى قصة الحضارة ج ٢٥٩/٤١ أن هذه القصة سببت موجة من الانتحار لدى بعض الشباب، بينما ذكر صدّيق شيبوب فى كتابه جوته (سلسلة اقرأ رقم ٣٥ لسنة ١٩٤٥) أن ذلك غير صحيح، وأن مؤرخي الأدب الألماني أنكروا ذلك واعتبروه من باب الإشاعات . (انظر ص٣٠)
ويقول ول ديورانت إن رجال الدين هاجموها باعتبارها تدعو للانتحار ولعاطفتها المشبوبة.

وفى نفس العام (١٧٧٤) زار فرانكفورت شخصان أثّرا على جوته. أما الأول فكان «لافاتر»، وهو عالم ديني محب للخير وديع القلب، ويحاول أن ينشر بين الناس تعاليم الدين الصحيحة و«الله محبة». وكان الثاني «بيزادو» أستاذًا فى علم التربية، ومتأثرًا بعقيدة جان جاك روسو فى حبّ الإنسانية والطبيعة . محبًا للجدل شرس الأخلاق . ولكن جوته انفصل عنهما بعد سفرهما من فرانكفورت ، ولحق بالفيلسوف «فردريك جاكوبي» بمدينة كولونيا . ودرس على يديه فلسفة اسبينوزا الذي أثر فى جوته أعظم التأثير.

وتحوّل جوته من عدو للدين وبالذات المسيحية الكهنوتية ورجال الكنيسة إلى مؤمن بوحدة الوجود حيث تتحد الطبيعة والإنسان والله فى شيء واحد . وسيأتي الحديث عن موقف جوته من الدين بشيء من التفصيل لأهميته البالغة .

ونشر جوته قصة كلافيجو وهي متأثرة بذكريات «بومارشيه» الفرنسية.. وشرع فى كتابه قصص أخرى، منها «فاوست» التي لم يتمها إلا قبل وفاته بسبعة أشهر (أخذت أكثر من خمسين سنة ليتمها) و«محمد» وهي مقتبسة من عمل فولتير «محمد» ، و«اليهودي التائه».

وفى أوائل سنة ١٧٧٥ تعرف على ليلى شوغان التي كانت تعزف البيانو فأحبها وراسلها وخطبها وكتب جوته إلى صديقه هردر فى ١٢ مايو ١٧٧٥ : «ظننت أخيرًا أني قد انتهيت إلى السلام والسعادة العائلية، ولكني أشعر من جديد بقوة تدفعني إلى البحار العالية» فغادر مدينة فرانكفورت إلى سويسرا . وهناك شعر بالحنين لخطيبته مرة أخرى فعاد أدراجه إليها ، فوجدها قد غضبت عليه لهجرها فجأة ، وفصمت عُرى الخطوبة بينهما .

الذهاب إلى ويمار (فايمار) :

كانت ألمانيا محكومة بدوقيات متعددة . وكان يحكم مدينة ويمار (فايمار) شاب طموح هو الدوق شارل أوجست الذي أراد أن يجمع فى مدينته الصغيرة (عدد سكانها ستة آلاف نسمة) نخبة من رجال الفكر والأدب فى بلاطه.

وفى ديسمبر ١٧٧٤ توقف الدوق شارل أوجست [1] (كارل أوبست) فى فرانكفورت ، وكان قد قرأ مسرحية «جوتز فون برليشنجن» وأعجب بها فقابل جوته، وطلب منه أن يلتقي به ثانية عند رجوعه من مدينة كالسروهي.

وفى مايو ١٧٧٥ التقى بالدوق ثانية فى كالسروهي، والذي دعاه بصفة نهائية إلى الإقامة فى فايمار . وانتقل جوته بالفعل إلى فايمار. وكان القصر والحاشية مزيجاً غريبًا بين الفخامة والبساطة . وكانت تدير دفة الحكم والدة الأمير الدوقة أميلي دي ساكس ويمار .

أما الأمير الشاب ذو الثمانية عشر ربيعًا فقد كان مسرفًا فى اللهو والشراب والغزل، على الرغم من زواجه من أميرة شابة . وتوطدت الصداقة بين جوته (٢٦عامًا) والأمير (١٨عامًا) وكانا يقضيان الليل فى العبث والشراب ومخادنة الخليلات . ورغم ذلك فقد عمل جوته بجدٍّ فى الإمارة، وضبط كثيرًا من شئونها حتى وصل إلى أعلى المناصب فيها.

وقد لقى جوته بصورة عامة ترحيبًا من الجميع فى فايمار ماعدا بعض السياسيين .. وكتب أحد رجال الحاشية إلى والدي جوته:

---

(١) كتبها صديق شيبوب فى كتابه جوته (هكذا) بينما كتبها ول ديورانت فى قصة الحضارة المترجمة «كارل أوبست».

«فكّرا فى ابنكما كأوثق صديق لدوقنا العزيز .. وهو محبوب إلى حدّ العبادة من جميع فضليات النساء فى هذه المنطقة ».

ولم يكن جوته فقط شاعر البلاط ، بل أصبح رجلاً حكيمًا ، وقد استطاع بمهارة أن ينظر فى حال المناجم وتشغيلها بكفاءة (وكانت سِنُّه آنذاك ٢٦عامًا) . وجعله الأمير عضوًا فى المجلس الخاص الذي يدير شؤون الدوقية، وفى ١١ يونيه ١٧٧٦ أصبح جوته «عضو المجلس المختص بالتفويض الدبلوماسي» وفى عام ١٧٧٨ رقي إلى وزير الحرب، ثم إلى العضوية الكاملة للمجلس الخاص عام ١٧٧٩ ، ثم رئيسًا لغرفة الدوقية ، وصار نبيلاً عام ١٨٨٢ .

فى إيطاليا :

فى عام ١٧٨٦ استأذن الأمير للذهاب إلى إيطاليا التي دخلها باسم مستعار.. وعندما دخلها قال : إني أومن بالله من جديد !! وفى روما اعتبر نفسه فى العاصمة الحضارية للعالم كله . وانكبَّ على دراسة الفن الكلاسيكي وفن الرسم والنحت حتى صار خبيرًا فى فنون اليونان بالذات وتحوَّل جوته من الرومانتيكية إلى الكلاسيكية بكل عمقها وأصالتها. واستمر فى جولاته فى روما أساسًا ، وفى مدن إيطاليا الأخرى، والأمير يدفع له راتبه كاملاً من الدوقية حتي نهاية ١٧٨٧.

وفى ٢٥ أبريل ١٧٨٨ غادر روما متجهًا إلى فايمار التي وصلها فى ١٨ يونيه من نفس العام ، بعد أن أكسبته رحلته إلى إيطاليا علمًا وعمقًا قائلاً : «يستطيع عقلي أن يتسامى إلى أعظم وأنقى إبداعات الفن فى مأمن هادئ» وأحسبني ولدت ولادة جديدة صادقة منذ اليوم الذي دخلت فيه روما ، وقد طلب جوته من الأمير أن يُعفيه من جميع واجباته الرسمية ، ما عدا منصب وزير التعليم، وخدم المجلس بصفة استشارية فقط منذ ذلك الحين .

مغامراته في فايمار:

وفى فايمار أحبّ شارلوت دي شتين التي كانت فى الثانية والثلاثين (تكبره بسبع سنوات) وكانت امرأة ذات مواهب عقلية ممتازة، وثقافة عالية، وإرادة قوية، وجمال متوسط، وأبقت حبها عذريًا طاهرًا رغم محاولات جوته فى أن يكون أبعد من ذلك . ولكنها كانت وفيَّة لزوجها رئيس إسطبلات القصر ورئيس الخيالة البارون فون شتين.

وكانت هذه المرأة العاقلة الحصيفة قد أنجبت سبعة من الأطفال حتى عام ١٧٧٢ (أي قبل مجيء جوته إلى فايمار بثلاث سنوات) مات منهم أربعة (وهو أمر عادي فى ذلك الزمان فى أوروبا وبقي الأمر حتى نهاية القرن التاسع عشر ، وفى القرن العشرين تحسنت وفيات الأطفال بشكل كبير فى الغرب بينما بقيت على حالها فى الشرق وما يسمى العالم الثالث الذي شهد فى النصف الثاني منه تحسنًا فى وفيات الأطفال) .

وكانت شارلوته تعاني من الحمل المتكرر والضعف فى الصحة مع ما كان لها من رقة ودماثة وحياء وأدب وسعة اطلاع ، وقد أدَّي ذلك كله بجوته إلى أن يهيم بها حبًا ، ورآها جوته من النفائس المذخورة فى قدس النبالة ، وعلّمته ضبط النفس والاعتدال والمجاملة وآداب الأرستقراطية. وكانت شاكرة لحبِّه لأنه أعادها للحياة .. ومع هذا فقد حافظت على نقائها وحبِّها العذري .. واستمر على ذلك دهرًا طويلاً .. وكان زوجها يعرف هذه العلاقة ولكنه يقدر عدم خيانة زوجته له حتى وفاته سنة ١٧٩٣ .

وأحبَّ جوته أطفالها.. وكان يأخذ ابنها فرتر (عشر سنوات) معه فى نزهاته ورحلاته، وفى هذه الفترة أظهر قصيدتين الأولى اسمها

الطبيعة ، والثانية أنشودة الجوالين فى الليل، وتعتبران من أجمل قصائده . وله قصيدة «ملك العفاريت» التي وضع لها شوبرت لحنًا موسيقيًا ، وعبّر فيها الشاعر عن إحساس طفل يرى ملك العفاريت آتيًا ليخطفه من بين ذراعي أبيه .

وفى هذه الحقبة (١٧٧٥- ١٧٨٠) كتب جوته ثلاث مسرحيات نثرية «اجمونت» (١٧٧٥) و«افجيني فى تاوريس» (١٧٧٩) وتوركاتوتاسو (١٧٨٠). ثم قام بنظم مسرحية «افجيني» ومسرحية «تاسو» . وكتب جوته لشارلوته قائلاً : «كل كلام تاسو موجه إليك». و«تاسو» هو جوته نفسه، أما ليونورا الأميرة الجليلة التي ترتضي حبَّ الشاعر، ولكنها تأمره بأن يكبح جماح نفسه ويراعي اللياقة فهي شارلوته . وأما الدوق الفونسو فهو يمثل الأمير كارل أوجست فى صبره على غضبات الشاعر وغرامياته وأحلام يقظته . ويصف تباطؤ الشاعر فى الفراغ من رائعته الموعودة قائلاً :

بعد كل خطوة بطيئة يدع عمله

لا يفتأ يبدّل ويغير، ولا طاقة له على الانتهاء

وهو وصف صادق لتباطؤ جوته فى إنجاز ملحمتيه «فلهم مايستر» و«فاوست» .

وبعد أن عاد جوته من إيطاليا (١٧٨٨) ترك جوته جميع وظائفه ما عدا التعليم، وعيّن الأمير رئيسًا للمجلس بموافقة الشاعر الغائب .. ووافقه على أن يترك وظائفه ما عدا التعليم وكان الأمير لطيفًا معه، ولكنه اتخذ أصدقاء جددًا . ولم تعجبه من جوته بعض النزعات الجمهورية التي استشفها من مسرحية «اجمونت» بعد أن أعاد الشاعر كتابتها . وحتى شارلوته استقبلته ببرود بسبب طول غيابه ، وسماعها بمغامراته مع الموديلات فى روما. وفترت علاقتهما تمامًا .

وأحبَّ جوته فتاة صغيرة فى الثالثة والعشرين من عمرها هي كرستيانه فولبيوس التي حملت إليه رسالة من أخيها فى ١٢ يوليه ١٧٨٨ فراعه منها أنوثتها وبساطتها فدعاها لتعمل مديرة لبيته ففعلت، وصارت عشيقته ، رغم أنها لم تنل حظًا من التعليم ولا تستطيع فهم الشعر، ولكنها منحته تحقيق ذاته . وفى نوفمبر ١٧٨٩ جعلها زوجة «علانية» ، مما أغضب شارلوته والحاشية لتجاوزه الحدود الطبقية . وولدت له كريستيانه ابنه الوحيد الذي عمَّده صديقه القسُّ والناقد والأديب هردر .

وقد وجد جوته الكثير من السعادة مع زوجته وابنه الصغير، ودبَّرت له أمر بيته واستمعت إليه فى حُبّ وهي لا تفهمه ، ومنحته الصحة والعافية. وقال لصديق له عنها : «لم ينلني منها غير الفرح» . ولم ير فيها عيبًا غير حُبِّها للخمر حُبًّا فاق حبَّه لها .

وعندما قامت الثورة الفرنسية وجد الشباب الألمان يصفقون لها ، بل وجد أصدقاءه الأعزاء فيلاند وهردر وشيلر يمجّدونها فرحين بالإطاحة بالاستبداد والملكية فى فرنسا. أما جوته فبالرغم من أنه لم يكن يؤيد الملكية الفرنسية المستبدّة، إلا أنه رأى أن كل العروش فى أوروبا مهددة بالخطر . ونبَّه على أن كثيرين فى ألمانيا يجرون وفى أيديهم منفاخ، بينما الأجدر بهم أن يبحثوا عن أباريق الماء البارد للسيطرة على النار .

وتكوّن حلف من ملوك وأمراء أوروبا ضد الثورة ، وشارك فى ذلك أميره الدوق كارل أوجست ، وحضر معركة فالمي ضد فرنسا (٢٠ سبتمبر ١٧٩٢) ، ووقف هادئًا أمام النيران، ولكن جيش الثورة الفرنسي انتصر على أعدائه . وقال جوته : «منذ اليوم ومن هذا الموضع

يبدأ عصر جديد فى تاريخ العالم» . وبالفعل تغير تاريخ أوروبا بعد انتصار الثورة الفرنسية.

أصدقاء جوته في فايمار:

كان لجوته العديد من الأصدقاء المهمين الذين أثّر فيهم وأثّروا فيه، نذكر منهم:

١- **يوهان جوتفريد هردر :**

ولد فى بروسيا الشرقية فى ٢٥ أغسطس ١٧٧٤ لأب فقير وقائد فرقة ترتيل فى الكنسية . وعانى الصبي منذ سن الخامسة من ناسور فى عينه اليمني ، وترك الدراسة واشتغل خادمًا وسكرتيرًا لسبستيان تريشو الذي كان يكسب قوته بتأليف كتب فى التقوى والدين . واستفاد هردر من مكتبته . وعندما بلغ الثامنة عشرة، أُرسل إلى كونجزبرج لإزالة الناسور ودراسة الطب، لكن الجراحة أخفقت، وفصول التشريح قلبت معدة الشاب، فانصرف عن الطب إلى اللاهوت .

وتعلّم الإنجليزية وأجادها واختلف إلى محاضرات كانت (كانط) الذي أحبه وأعفاه من رسوم المحاضرات، ودرّس التلاميذ الخصوصيين حتى يكسب لقمة عيشه، ودرَّس أيضًا فى مدرسة الكاتدرائية ورُسم قسيسًا لوثريًا فى سن الواحد والعشرين . ودخل عالم النشر بكتاب فى الأدب الألماني، وهو فى سن الثانية والعشرين، وأعجب بالكتاب أعمدة الفكر فى ألمانيا : كانت (كانط) وليسنج ولافاتر ، وامتدحوا دعوته إلى أدب قومي متحرر من الوصاية الأجنبية .

وعندما ذهب إلى باريس جمع الشعر الشعبي ووجد فيه لذة كبيرة وكان همه بعد أن عاد إلى ألمانيا إيجاد مدرسة الفلكلور الألماني .

ونشر ثلاثة مجلدات فى النقد الفني والأدبي .. واتصل بالمفكر والفيلسوف ليسنج فى هامبورج واستفاد منه كثيرًا ، ثم صاحب أمير هولشتين معلمًا ورفيقًا .. وفى كاسل التقى براسبي الذي ترجم كتاب «مخلفات من الشعر الإنجليزي القديم» لتوماس برسي .. وانتقل هردر مع الأمير إلى درامشتات . وعاودته آلام الناسور فى عينه فذهب إلى ستراسبورج لمعالجتها بالجراحة التي أتعبته وآلمته (بدون مخدر) وتلوث الجرح . وأدّى ذلك إلى حالة من التشاؤم والكآبة . وقد التقى بجوته فى هذه الفترة (٤ سبتمبر ١٧٧٠) الذي يقول : «لقد أتيح لي أن أحضر الجراحة، وأن أكون نافعًا فى نواحٍ كثيرة» . وبدأت الصداقة بينهما تتوطد حتى أن جوته اقترض مبلغًا من المال لأجله، ردَّه هردر فيما بعد شاكرًا . وكان هردر يقول : «إن الشعر ينبثق غريزيًا فى الشعب، لا من بضعة رجال مهذبين مثقفين» وأكد للألمان أنهم إن التمسوا فى الإلهام جذور الأمة وحياة الشعب فسوف يأتي الوقت الذي يبزّون فيه الفرنسيين فى كل ما حققوه . وانتقد التنوير لأنه عبادة لوثن العقل وكان رومانتيكيًا فى عواطفه ومعارضًا لعبادة المال التي انتشرت فى أوروبا ، والتكلف والافتعال .

وتزوج من كارولينة التي أحبها فى دارمشتات فى ٢ مايو ١٧٧٣ رغم ضآلة دخله ودخلها. وقد بذلت له زوجته الخدمة والحب الخالص مدى الحياة. وبفضل وساطتها انقشع الفتور الذي ران على العلاقة بين جوته وهردر.

وقد أقنع جوته الأمير باستقدام هردر وضمه إلى حاشيته وجعله يوليه رئيسًا لكنيسة القصر وواعظًا فيها . وفى أول أكتوبر ١٧٧٦ وصل هردر وكارولينه إلى فايمار ، وانتقلا إلى البيت الذي أعده لهما جوته وعمل هردر قسيسًا للدوق ، يقوم بواجبات العماد ، والتثبيت فى

الإيمان، وعقد الزيجات، والإشراف على الجنائز، وسلوك الأكليروس، وإقامة المواعظ.. وكانت مدارس الدوقية تحت إشرافه وتوجيهه حتى أصبحت نموذجًا يحتذي فى كل ألمانيا . ونتيجة هذه المسؤوليات وآلام الناسور التي كانت تعاوده ، أصيب هردر بنوبات من سوء الخلق جعلت علاقته بجوته تفتر لمدة ثلاث سنوات حتي تجنَّب كل واحد صاحبه . وكانت بعض مواعظه للأمير نقدية بشكل مزعج .

ثم عادت العلاقات والود بينهما حتى قال هردر: «لست أعرف رجلاً أنبل قلبًا وأسمح روحًا من جوته» ونشر هردر مختارات من الشعر الشعبي والأغاني الشعبية (الفولك سلايد).

ولقد كافح هردر فى إبقاء إيمانه الديني بسبب سعة اطلاعه وتعقيدات الكنسية، حتى أنه تشكك فى لاهوت المسيح ، واعتبره نبيًا رسولاً.. ومع ذلك لم يكن ملحدًا وتأثر بفلسفة سبينوزا الذي قال بوحدة الوجود، وجعل الله والإنسان والطبيعة شيئًا واحدًا . وفقد الله عنده صورته الذاتية، وأصبح قوة الكون وروحه الذي لا سبيل إلى معرفته إلا فى نظام العالم والوعي الروحي للإنسان . ولكن هردر فى دراسته الموجهة للإكليروس قَبِلَ معجزات المسيح الخارقة كما قبل بخلود الروح .. وجمع أفكاره فى كتاب ضخم مكون من أربعة أجزاء وسماه «أفكار نحو فلسفة فى تاريخ الإنسان». وكتب إلى صديقه هامان فى ١٠ مايو ١٧٨٤ : «لم أؤلف طوال حياتي كتابًا كهذا ، وأنا نهب للكثير من المتاعب، بحيث أنه لولا زوجتي ولولا جوته اللذان لم يفترا عن تشجيعي وحثّي لظل كل شيء فى مثوى الكائنات التي لم تر النور» . واعتبر الكتاب المقدس وبالذات العهد القديم كتاب شعر، ولا ينبغي أن يفهم إلا على هذا الأساس . وليس هو بأي حال من الأحوال كتاب علم أو تاريخ ، وكل قصصه وحكاياته تؤخذ بهذا

المنظار ، وهي قصص مجازية خلاّقة وليست حقائق تاريخية (وهو ما يناقض قداسة وعظمة الكتاب المقدس).

وكان لهردر فضل عظيم فى توجيه جوته أولاً إلى الأدب الإنجليزي وخاصة شكسبير ثم إلى الفلكلور الألماني ، وبعد ذلك وجهه بعد عودته من إيطاليا سنة ١٧٩١ إلى العناية بالآداب الفارسية والهندية . ومنذ ذلك الحين لا يكاد يخرج فى اللغات الأوروبية كتاب واحد فى هذين الأدبين أو أثر من آثارهما إلا والتهمه جوته التهامًا . وكان إعجاب جوته بالأدب الفارسي لا يعدله أي إعجاب آخر ، وأخذ ديوان حافظ الشيرازي بلبه (حصل عليه عام ١٨١٥) ويقول جوته : «استطعت أن أحصل فى العام الماضي على ترجمة فون همر لديوان حافظ كله.. وإن مجموعة أشعاره قد أثرت فىَّ تأثيرًا عميقًا »، وقبلها فى عام ١٨٠٧ قرأ ترجمة هارتمن لقصة «المجنون وليلى» التي نظمها الشاعر الفارسي نظامي . وسيأتي الحديث مفصلاً عن علاقة جوته بالشعر الفارسي الإسلامي وديوانه «الديوان الشرقي» فنترك الكلام إلى حينه وأوانه.

٢- يوهان كريستوف فريدريش شيلر :

ولد شيلر فى١٠ نوفمبر ١٧٥٩ بمدينة مارباخ فى فورتمبرج، وهو يصغر جوته بعشر سنوات. وكان والده ضابطًا برتبة كابتن فى جيش الدوق كارل أويجين وكان جراحًا فى هذا الجيش بينما كانت أمه تملك فندقًا صغيرًا . وقد أقنع الدوق الوالدين بأن يبعثا بابنهما فريدريش إلى مدرسة كارل فى لودنجزبرج ثم فى شتوتجارت حيث يعد أبناء الضباط لمهنة المحاماة، أو الطب أو العسكرية ، وتخرج شيلر فى الطب سنة ١٧٨٠ وأصبح جراحًا لفوج عسكري فى شتوتجارت ، ولكن راتبه كان ضئيلاً. ولم تكن حياة الضباط

تناسبه بما فيها من تهتك والاتصال بالمومسات وشرب الخمور. وكتب مسرحية «اللصوص» التي توجَّه فيها توجهًا ثوريًا حيث جعل البطل الذي انضم إلى جماعة اللصوص شبيهًا بروبن هود حيث يقوم بإعطاء ماله كله للفقراء واليتامى، وأما نقمته فهي على المترفين والإقطاعيين الذين يسومون الفلاحين العذاب . وندَّد فى هذه المسرحية برجال الدين لأنهم يتملّقون السلطة وذوي النفوذ، ويعبدون المال» وخيرهم لا يتردد فى أن يخون الثالوث الأقدس كله فى سبيل عشرة شواقل»[1] .

وقد حاول أن يجد ناشرًا ففشل فى ذلك فاقترض مبلغًا من المال، وطبعها على نفقته عام ١٧٨١. وقد أدهش نجاحها الناس وخاصة أن مؤلفها كان فى الثانية والعشرين من عمره وفى رأي كارليل بدأت هذه المسرحية عصرًا فى الأدب العالمي .. وكانت نهايتها مأساوية وعرض البارون فولفجانج دالبرج أن يقدمها على المسرح القومي بمانهايم بشرط أن يضع لها نهاية سعيدة ففعل ذلك. وازداد انتشار المسرحية الأصليَّة والمعدّلة.

وترك الطب والعسكرية وكتب مسرحية ثالثة وسمّاها «الدسيسة والحب» فنجحت. وعرضت «فييسكو» المسرحية الثانية، على المسرح فى يناير ١٧٨٤ ، وأضرَّ بها التعديلات التي اقترحها المخرج ففشلت، بينما نجحت مسرحية «الدسيسة والحب» نجاحًا باهرًا .

ثم نشر بعض الرسائل الفلسفية التي رفض فيها اللاهوت القديم وتأليه يسوع والتثليث ، ولكنه لم يكن ملحدًا ولا كافرًا ، بل كان

---

(١) ول ديورانت : قصة الحضارة ترجمة فؤاد اندراوس ج ٢٧٠/٤١ . والشاقل: عملة فضية فى فلسطين فى زمن المسيح. وقد خانه يهوذا الأسخريوطي بثلاثين شاقلاً ، وهو مبلغ تافه . وأما شيلر فاعتبر أن خير هؤلاء القسس يمكن أن يبيع الثالوث المقدس كله بعشرة شواقل !!!

مؤمنًا بيسوع النبي الطاهر الرحيم الودود ، ونتيجة رفضه للكنيسة وتعاليمها لم يعد قادرًا على أن يصلي.

وبدأت ظروفه المالية تسوء كما أن صحته كذلك بدأت تعاني من مرض السل الرئوي الذي لم يشخص إلا بعد وفاته !! (عندما شُرِّحت الجثة).

وكتب له كورنر من ليبزج فى يونيه ١٧٨٤ رسالة تفيض بالود والإعجاب مشفوعة بصورته وصورة خطيبته مناشتوك ، وأختها دورا وخطيبها . وكان كورنر راعيًا لكنيسة القديس توماس، ونال إجازته فى القانون وهو فى الواحدة والعشرين ، وصار مستشارًا لمجلس الكنيسة الأعلى فى درسدن . ودعاه كورنر للإقامة معهم . وتردد شيلر ولكنه اضطر لظروفه المادية السيئة أن يقبل الدعوة الكريمة، ووصل إلى ليبزج فى ١٧ مارس ١٧٨٥ . واحتفلت به الأسرة أيما احتفال . وأكرمه كورنر وسدَّد دينه . ووضع مسرحية جديدة عام ١٧٨٧ ونجحت المسرحية، وقبل دعوة الدوق كارل أوجست دوق فايمار وانضم إلى الكوكبة التي تحيط به: جوته وهردر وفيلاند وغيرهم . وفى ديسمبر ١٧٨٧ وصل إلى فايمار وعيَّنه أميرها مستشارًا ثم بعد ذلك بمشورة من جوته، أستاذًا فى التاريخ فى جامعة «اينا» .

وكان جوته فى إيطاليا عند وصول شيلر إلى فايمار. وكانت علاقة شيلر بالشاعر فيلاند الذي يكبره بكثير علاقة ودية حيث قال له فيلاند : «سيفتح كل منَّا – عمَّا قليل- قلبه للآخر ، وسيساعد كل منا صاحبه» وقد وفَّى بوعده .

وكان شيلر يتعجب من جوته الذي يستلم الأموال الضخمة من الأمير، بينما هو يلهو فى إيطاليا ويرى نفسه والآخرون يكدّون فلا يلقون من المال إلا القليل . ولكنه قال: «إن الكثيرين يتحدثون عن

جوته بإعجاب وحب . وأنه لم يؤذ أحدًا قط .. وفعل كل ما يستطيع لمساعدة الآخرين» . وعرضت مسرحية شيلر «دون كارلوس» فى همبورج (٢٧ أغسطس ١٧٨٧) ، وكان شيلر فى فايمار التي أولع بها فلم يذهب لمشاهدتها. وترك بعدها الدراما ليتخصص فى التاريخ. ولما عاد جوته من إيطاليا (١٧٨٨) التقى بشيلر ، ولم يكن اللقاء سعيدًا ، وكتب شيلر لصديقه كونر يصف جوته: «ولكني أشك فى أننا سنتقارب تقاربًا وثيقًا يومًا ما .. إنه يسبقني بمراحل ، فلا يمكن أن نلتقي على الطريق. وقد سارت حياته كلها من بدايتها فى اتجاه معاكس لاتجاه حياتي، وعالمه ليس عالمي ، وأفكارنا فى بعض النقاط متعارضة تعارضًا تامًا» .

ورغم النفرة بين الرجلين إلا أن جوته ساعد شيلر فى الحصول على وظيفة أستاذ تاريخ فى جامعة أينا (يينا) عندما شعر أن فايمار لا تتسع لكليهما. ونجح شيلر فى عمله الجامعي وتزوج من شارلوته (فبراير ١٧٩٠)، وأنجبت له أربعة أطفال . وأثبتت خلال شدائده أنها الزوجة الصابرة الحنون. وكتب يقول: «إن قلبي يسبح فى السعادة، وعقلي يستمد قوته وعافيته منها». ولكن الأمراض عاودته وكان يبصق دمًا (السل الرئوي) وكان الدواء فى ذلك العهد المزيد من النبيذ الجيد!! لذا أصابه تشنج رهيب واختناق حتى أحس أن ساعته قد دنت . ولكن صحته تحسنت نسبيًا بعد ذلك. ونشر عددًا من المقالات المهمة فى الأدب والنقد والتاريخ .

ويقول ول ديورانت فى كتابه قصة الحضارة [1] :

ولعل تصوير شيلر وجوته الرومانسي لليونان القديمة كان هروبًا من المسيحية ، فشيلر ينتمي إلى حركة التنوير (المضادة للكنيسة)،

(١) ول ديورانت : قصة الحضارة ج ٣٠٩/٤١.

شأنه فى ذلك شأن جوته . وقد قبل إيمان القرن الثامن عشر بالخلاص عن طريق العقل ، لا عن طريق الإيمان بيسوع المخلّص الخروف الذي ذبح من أجلنا . واحتفظ باعتقاد ربوبي فى الله وخلود غامض . ورفض الكنائس كلها، البروتستانتيه منها والكاثوليكية، ولم يكن يطيق المواعظ حتى مواعظ صديقه هردر ».

وعاوده المرض بعنف فى ديسمبر ١٧٩٣ ثم تماثل للشفاء . وتمَّ أول لقاء حقيقي ودّي بين شيلر وجوته عندما حضر الرجلان فى يونيه ١٧٩٤ جلسة عقدتها جمعية التاريخ الطبيعي فى جامعة يينا . قال شيلر لجوته وهما يغادران القاعة : «إن العينات البيولوجية المعروضة فى المؤتمر تعوزها الحياة ، ولا يمكنها أن تعين مشاهدها على فهم الطبيعة، ووافق على ذلك جوته بشدّة . وتجاذبا الحديث حتى بلغا بيت شيلر فدعاه للدخول واستمرّا فى الحديث . وشرح جوتة له نظريته فى تحوّر النبات . وقد استمع شيلر لجوته بكل اهتمام وبفهم واضح ولكنه قال: ليست هذه تجربة إنما هي فكرة »، أي لكي تكون نظرية لابد من تجربة تدعمها . ولم يعجب هذا الكلام جوته ولكنه أقرَّ بصوابيته.

وتولى شيلر الإشراف على تحرير مجلة أدبية .. وكتب إلى جوته وغيره من العمالقة ليكتبوا فيها فأجابه إلى ذلك وتوطدت الصلة بينهما منذ ذلك الحين (يونيه ١٧٩٤). واستمرت الرسائل والصداقة بينهما حتى وفاة شيلر فى عام ١٨٠٥ .

٣- فيلانـد :

هناك العديد من الرجال الذين عاشوا مع جوته فى فايمار بالإضافة إلى هردر وشيلر وفيلاند الذي كان يكبر جوته أيضًا وعلاقته به ودّية للغاية، وأشاد به جوته فى مذكراته. ولم يكن فيلاند يغار من النجوم الصاعدة فى سماء فايمار بل استطاع أن يتعاون معهم ويوجههم كأخ أكبر . وأصدر فيلاند رواية شعرية اسمها «أوبرون» فى عام ١٧٨٠ . وحين اضطر جوته للجلوس أمام الرسام الذي رسم صورته ساعة كاملة دون حراك، طلب إلى فيلاند أن يقرأ عليه أجزاء من هذه الملحمة ففعل وقال فيلاند: «لم أشهد إنسانًا سعد بعمل إنسان آخر كما سعد جوته » وقد ترجم السفير الأمريكي جون كوينسي هذه القصيدة إلى الإنجليزية (كان سفيرًا من عام ١٧٩٧ حتى عام ١٨٠١).

وعندما دخل بونابرت ألمانيا فاتحًا التقى بجوته وفيلاند، وكرَّم فيلاند بوصفه أعظم الكتاب الألمان بعد جوته .

وفى ٢٥ يناير ١٨١٣ كتب جوته: «دفنّا فيلاند اليوم . لقد تركنا صديقنا الطيب فيلاند .. ففى ٣ سبتمبر احتفلنا بعيد ميلاده الثمانين بمظاهر الابتهاج. لقد كان فى حياته توازن بديع بين الهدوء والنشاط . وأسهم بقدر هائل فى ثقافة الأمة العقلية فى تروٍّ وأناة ، ودون أي نضال مشبوب أو صراخ عالٍ».

مسرحية فـاوسـت:

تعتبر مسرحية فاوست أهم أعمال جوته الأدبية وتأتي بعدها آلام فرتر. وقد شغلت قصة فاوست تفكير جوته معظم حياته ، فقد بدأ يفكّر فيها سنة ١٧٧٢ ووضع الجزء الأول منها فى سنة ١٧٧٥ فى

أول عهده فى فايمار. ثم أضاف إليه وعدَّلها ونشرها سنة ١٧٩٠ . وفى سنة ١٨٠٠ بدأ كتابة الجزء الثاني ، ولم يتم عمله هذا إلا على مراحل عدة : منها سنة ١٨٠٨ ثم سنة ١٨٢٤ وأخيرًا أتمّه سنة ١٨٣١ قبل وفاته بسبعة أشهر وكانت تلك آخر أعماله .

وتمثّل هذه القصة الصراع بين الإنسان والشيطان الذي استطاع أن يغوي أستاذًا من أهل العلم ، باع نفسه للشيطان فى نظير أربع وعشرين عامًا ينال فيها كل ألوان المتع والملذات ، وتتفتق أمامه آفاق واسعة من المعرفة الشيطانية مثل السحر والقبالة (الكابالا اليهودية) والتنجيم .

وقد استمد جوته موضوع قصته من شخصية اختلف الباحثون فى حقيقتها. ويقال إنه كان بالفعل رجلاً فى مدينة «كنتلنجتن» بمقاطعة «ورتمبرج» فى أواخر القرن الخامس عشر الميلادي وأنه يدعى جان فاوست. ودرس علوم الطبيعة والكيمياء والخيمياء **(Alchemy)** وهي محاولة تحويل المعادن الخسيسة إلى ذهب (اشتهر بذلك عند المسلمين جابر بن حيان ، وهو علم مبني على أمر غير واقعي وارتبط بالسحر والشعوذات) . وقد أنفق فاوست ماله فى الملذات فلما افتقر حاول أن يعوّض ثروته بالخيمياء، واستخدم السحر، وصار يسافر مع خادمه ويعرضان أعمالاً شيطانية كانت مثار إعجاب ودهشة كل من يراها ، وقيل إن خادمه هو نفسه إبليس الذي علّمه السحر ، وحقّق له ما يريد من تحضير الأرواح، بما فيها روح الإسكندر المقدوني وهيلين زوجة منيلاس التي جرت بسببها حروب طروادة الشهيرة، ويقال إن فاوست أحبها فبعثها الشيطان له جسدًا فتزوّجها حسب الأسطورة . وفى ليلة من ليالي سنة ١٥٤٠ وجد فاوست قتيلاً ممزَّق الجثة . ويقال إن الشيطان أو خادمه هو الذي قتله .

وقد تناول قصة فاوست عدد من الأدباء قبل جوته ، ولكن جوته بلغ بها شأوا بعيدًا ، ووضع لها مقدمتين ثم ثلاثة فصول ختم بها الجزء الأول . أما الجزء الثاني فبلغ خمسة فصول .وتقول المقدمة الأولى: إن المؤلف الشاعر يسعى للخلود بقصته فيسخر منه شخص آخر ويقول له إن المهم هو إيصال الحقيقة فى شكلها الواقعي إلى الناس.

وأما المقدمة الثانية فهي شبيهة بقصة أيوب التي وردت فى أسفار العهد القديم (سفر أيوب) ويبدأ السفر هكذا : «كان رجل من أرض عوص (وعوص أو العيص هو توأم يعقوب وابن إسحاق، وهو الذي نزل أولاً .. واستولى يعقوب حسب زعمهم على البركة من أبيه بحيلة قذرة» .. وكان الرجل كاملاً وكان ذات يوم أنه جاء بنو الله (المقصود بذلك الملائكة) ليمثلوا أمام الرب، وجاء الشيطان أيضًا فى وسطهم فقال الربُّ للشيطان: من أين جئت ؟ فأجاب الشيطان : من الجولان فى الأرض والتمشي فيها. فقال الربُّ للشيطان: هل جعلت قلبك على عبدي أيوب ؟ لأنه ليس مثله فى الأرض رجل كامل ومستقيم يتقي الله ويحيد عن الشر. فأجاب الشيطان : هل مجانا يتقّي الله أيوب؟ أليس أنك سيَّجت (أي وضعت سياجًا) حوله وحول بيته وحول كل ما له من كل ناحية ؟ باركت أعمال يديه فانتشرت مواشيه فى الأرض؟ ولكن ابسط يدك الآن ومسّ كل ماله فإنه يجدّف عليك . فقال الرب للشيطان : هو ذا كل ماله فى يدك . وإنما إليه لا تمد يدك . ثم خرج الشيطان من أمام وجه الرب»

[أيوب الإصحاح الأول ٦- ١١].

وانظر إلى المقدمة التي وضعها جوته ترى التأثير الكبير لهذا السفر (سفر أيوب) فى الآداب الغربية.. تجري حوادث المقدمة الثانية فى السماء حيث يظهر الله تحفُّ به الملائكة — فيتقدم إبليس باسم

«مغيستوفيلس» ويعرض على الباري تعالى أمر فاوست . ويقول له : «هل تراهن بأنك ستفقد فاوست إذا أذنت لي أن أستغويه شيئًا فشيئًا حتى يصير طوع هواي». فيقبل الله الرهان مجيبًا : «حسنًا ، حوِّل هذه النفس عن نبعها الأول (الخيّر)، وسرْ بها إن استطعت فى طريقك ، ولكن سيتولاك الخجل حين يضطرك الاختبار إلى الاعتراف بأن فاوست هو الرجل الصالح الذي يتعرف الطريق القديم ، بالرغم من النزعات القائمة التي تتدافع فى نفسه».

ويظهر فاوست كنموذج لرجاحة العقل والعبقرية فهو عالم أحاط بكل العلوم ووقف على جميع المذاهب الفكرية ، ولكنه يطمح إلى معرفة الأسرار والغيوب حتى يؤرقه ذلك، ويحدِّث نفسه بالانتحار بالسم، وفى تلك اللحظة يسمع قرع أجراس عيد الفصح (عيد قيامة المسيح من بين الأموات ، وهو عيد الربيع والحياة أيضًا عند الأمم الأخرى) فتعيده الأجراس والعيد إلى حُبِّ الحياة مرة أخرى إلا أنه مضطرب فى إيمانه تعذّبه الشكوك .

وقد اختار إبليس تلك الساعة لينصب له الشباك فظهر له أولاً فى شكل كلب يتبع فاوست إلى غرفته فيلهيه عن مطالعة الكتاب المقدس ، ثم يظهر فى صورة «مغيستوفيلس» ويمنيه بأن ينيله ما يريد من نعيم الدنيا إذا رضي أن يبيع نفسه له ، فيقبل فاوست هذه الصفقة ويسقيه بواسطة عجوز إكسير الشباب. ويتحول فاوست إلى شاب أنيق ويذهب مع مغيستو إلى حانة ويحدث فيها عجائب . ثم يصطاد الفتاة الغِرّة الطاهرة مارجريت فيغريها فاوست بالإطراء والثناء (والغانيات يغرُّهن الثناء) . ويضع فى مخدعها سفطًا محشوًا بالجواهر ، حتى تقع المسكينة فى شراك فاوست وشيطانه . وتتم غوايتها . وبعد أن نال

منها فاوست ما يريد هجرها ، وثار فالنتين شقيق الفتاة، فتصدى له فاوست وشيطانه ، وبضربة واحدة قتله فاوست بمعونة الشيطان .

وذهبت المسكينة إلى الكنيسة وهي حامل، فلما ولدت قتلت طفلها لتتخلص من عارها، فحُكم عليها بالإعدام (كانت أوربا تحكم بالإعدام على المرأة التي تجهض نفسها أو تقتل وليدها) ، ويأتي فاوست ويعرض عليها الهرب، وهي فى السجن ، ولكنها تأبى لتكفر عن خطيئتها ، وقد شعرت بالسكينة بعد أن رأت العذراء، وتموت راضية قريرة العين. ويسمع فاوست وشيطانه صوتًا يقول : «لقد أُنقذت» ويبدأ فاوست يساوره القلق المرض مما هو فيه حتى تبدو فيه شخصيتان متعارضتان: إحداهما عالقة بالأرض والدنيا ، والأخرى نازعة إلى السماء.

ويبدأ الجزء الثاني بخروج فاوست من السجن الذي كانت فيه مرجريت بمساعدة مغيستو، وأخرجه ليشهده العوالم الغيبية ويحضّر الأرواح . وفى الفصل الأول من الجزء الثاني نرى مغيستو ينقل فاوست إلى قصر الملك ليكون مضحكه . ولكن الملك يعاني من خطر إفلاس مملكته فنصحه مغيستو أن يصدر نقودًا ورقية يدّعي أنها مضمونة بالكنز العظيم المدفون فى تربة المملكة، فأقبل عليها الناس وأنقذت الدولة من الإفلاس إلى حين .

وحضَّر مغيستو وفاوست روح هيلين بطلة طروادة حسب طلب الملك، وعندما حضرت أحبها فاوست فاندفع نحوها ولمسها فحدث انفجار وأغشي على فاوست واختفت هيلين . ويظهر «هومينكولوس» «الإنسان المصغر» وينصح بأخذ فاوست إلى أرض اليونان ، ومنها إلى أسبارطة حيث يجد هيلين وزوجها منيلاس غاضبا عليه فتهرب من زوجها إلى أركاديا ، ويتصل بها فاوست وتلد له ولدًا يسميه «أوفوريون» ويقوم

الصبي بمحاولة الطيران فى السماء فيهوي إلى القاع من الجبل ويموت، فتلحق به هيلين وتنزل وراءه إلى الجحيم تاركة ثيابها لفاوست .

وأصيب فاوست بصدمة فقد هيلين وفقد ابنه أوفوريون فانهمك فى العمل، ووجد الملك الذي أصدر الأوراق ناقمًا عليه وعلى مغيستو لأن الأوراق النقدية أدَّت إلى مزيد من الإفلاس بعد آن تبيّن أن لا غطاء لها. وتقوم الثورة على الملك، ولكن فاوست يساعده بألاعيبه السحرية حتى ينتصر على جيش الثوار .

وتقترب مدة العقد بينه وبين الشيطان على النهاية فيدخل عليه الهمّ فى صورة فتاة تسبب له العمى ، ويخطّط فاوست لإصلاح الأراضي البور وإعطائها للفقراء، ويستمر فى عمله رغم علمه بقرب نهايته . وكان مغيستو يستعد لأخذ فاوست إلى الجحيم ، ولكن مجموعة من الملائكة تظهر فتأخذ روح فاوست وتحملها إلى السماء لأنه أنهى حياته بالعزم على عمل الخير ومساعدة الناس. وتظهر مرجريت ترجو الملائكة أن يرفعوا فاوست إلى الدرجة العليا التي هي فيها فيرفعونه ليلتقي بها فى السماوات العلى .

وللقصة مغزى وهو أن الإنسان مهما عمل من الشر فإنه إن تاب فإن اللّه يتوب عليه ويفتح له أبواب رحمته . بل تكفى فى ذلك توبته الصادقة ورغبته الأكيدة فى عمل الخير، حتى ولو لم يقم به فعلا .

وفى الحديث الصحيح الذي أخرجه البخاري ومسلم فى الصحيحين عن أبي سعيد الخدري - رضى اللّه عنه- أن نبي اللّهﷺ قال : «كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسًا فسأل عن أعلم أهل الأرض فدُلَّ على راهب فأتاه فقال : إنه قتل تسعة وتسعين نفسًا فهل له من توبة ؟ فقال : لا. فقتله فكمل به مائة . ثم

سأل عن أعلم أهل الأرض فدُلَّ على رجل عالم، فقال إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة ؟ فقال : نعم . ومن يحول بينه وبين التوبة ؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناسًا يعبدون الله تعالى فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء . فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة : جاء تائبًا مقبلاً بقلبه إلى الله تعالى. وقالت ملائكة العذاب : إنه لم يعمل خيرًا قط، فأتاهم ملك فى صورة آدمي، فجعلوه بينهم، أي حكمًا . فقال : قيسوا ما بين الأرضين وإلى أيتهما كان أدنى فهو له . فقاسوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد فقبضته ملائكة الرحمة» وفى رواية : «فكان إلى القرية الصالحة أقرب بشبر فجعل من أهلها» وفى أخرى: « فأوحى الله إلي هذه أن تباعدي وإلى هذه أن تقربي . وقال : قيسوا ما بينهما . فوجدوه إلى هذه أقرب بشبر فغُفِر له» وفى رواية «فنأى بصدره نحوها».

وكلها توضح مدى رحمة الله سبحانه وتعالى بعباده المذنبين الخاطئين. فهذا رجل لم يعمل خيرًا قط . وإنما توجه إلى القرية الصالحة ليعمل بالخير فمات فى الطريق فقرَّب الله جسمه إلى الأرض الصالحة بشبر أو نأى بصدره نحوها فأخذته ملائكة الرحمة.

وقصة فاوست قصة رجل باع نفسه للشيطان ليأخذ من متاع الدنيا وعلومها وأسرارها فلما قربت منيَّته كره كل ذلك ، وعزم على فعل الخير وخطّط لإصلاح الأراضي البور، وإعطائها الفقراء ، فلما مات أراد الشيطان أن يأخذه معه إلى الجحيم فجاءت ملائكة الرحمة، وأخذت روحه إلى السماء ، ثم تشفعت مرجريت فيه لرفع درجته حتى يبلغ مقام روحها السامي.

وجوته لم يعرف الحديث ولا قصته وإلا كان أفاد منه ، وبطبيعة الحال لم يشر أحد من النقاد قط حتى هذه اللحظة إلى ما بين قصة الحديث الشريف الصحيح وقصة فاوست من التقاء فى أن الله سبحانه وتعالى يقبل التوبة مهما فعل العبد من ذنوب وموبقات بشرط أن يندم على ذلك، ويقلع عن فعل الشر ويعزم على فعل الخير، فإنه مثاب على نيته تلك حتى ولو لم يقم بالعمل ذاته.

يا تواب تب علينا وسامحنا فيما جنينا يا تواب .

جوته والدين :

كانت أوروبا فى القرن الثامن عشر، فى عصر التنوير متجهة بقوة ضد الكنيسة وخاصة رجال الفكر والأدب . وشهدت أوروبا الثورة الفرنسية التي كانت تنادي بشنق آخر ملك بأمعاء آخر قسيس . وكانت الكنيسة مكروهة لدى المثقفين خاصة لمواقفها الشنيعة فى محاكم التفتيش ولمحاربتها العلم ولوقوفها مع الملوك الظلمة والإقطاع المستغل، كما كان كثير من رجال الكنيسة بما فيهم البابوات فسقة فجرة عُبادًا للمال والسلطة. وقد أوردنا ما ذكره شيلر عنهم وأنهم مستعدون لبيع المسيح بعشرة شواقل (يهوذا الاسخريوطي باع المسيح وخانه لقاء ثلاثين شاقلاً من الفضة).

وكتب جوته لصديقه كستز فى سنة ١٧٧٢ يقول عن نفسه: إنه يجلّ الدين المسيحي «ولكن ليس فى الصورة التي يصوره بها لاهوتيونا» .. وأنه لا يتردد على الكنيسة، ولا يتناول القربان (العشاء المقدس على يد الكاهن حيث يتحول الخبز إلى لحم المسيح عند آكليه، ويتحول النبيذ إلى دم المسيح عند شاربيه، وهي عقيدة وثنية

أسطورية اعتمدتها الكنيسة) وإنه نادرًا ما يصلى» [1] وكان يكره على الأخص تأكيد المسيحية على الخطأ والخطيئة (خطية آدم التى لا يكفّرها إلا أن يقوم الله بإرسال ابنه الحبيب وأن يهان ويذبح على الصليب ليكون هو الخطيئة، ويتحمل عنّا اللعنة فيكون هو اللعنة، وهو الفادي والخروف!!) وكتب إلى صديقه هردر وهو قسيس وفيلسوف وأديب سنة ١٧٧٤ يقول له : «ليت تعليم المسيح كله لم يكن فيه هذا الهراء الذي يثير سخطي» [2] (الواقع إنه ليس تعليمًا للمسيح بل لبولس والكنيسة) .

ووضع مخططًا لمسرحية عن بروميثيوس رمزًا للإنسان الذي يتحدي كبير الآلهة زيوس، ولكنه لم يزد على مقدمة صدمت ياكوبي، وأبهجت صديقه ليسنج.

الصراع بين الإله والإنسان (حسب زعمهم) :

قصة بروميثيوس سارق النار المقدسة ، وما ورد فى التوراة المحرفة.

الله يمنع آدم من المعرفة (حسب زعمهم) :

جاء فى التوراة المحرفة وأسفار العهد القديم.. أن الله قد منع آدم من شجرة المعرفة لكي يبقي جاهلاً (وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها لأنك يوم تأكل منها تموت موتًا) (سفر التكوين الإصحاح الثاني) . وكذلك يخافُ الربَّ من أن يأكل آدم أيضًا من شجرة الخلد، ولذا وضع عليها حراسة مشددة حتى لا يأكل منها آدم.

---

(١) ول ديورانت: قصة الحضارة ترجمة فؤاد إندراوس، إصدار دار الجيل والنشر بيروت والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ج ٢٥٩/٤١.

(٢) المصدر السابق .

وقد غضب الربّ - حسب زعمهم- لأكله من شجرة المعرفة !! «وقال الربُّ الإله: هوذا الإنسان قد صار كواحدٍ منّا عارفًا الخير والشر. والآن لعله يمدُّ بيده ويأخذ من شجرة الحياة أيضًا، ويأكل ويحيا إلى الأبد .. فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التي أُخذ منها، فطرد الإنسان وأقام شرقي جنة عدن الكروبيم، ولهيب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة» [سفر التكوين٣ :٢٢ – ٢٤].

وهذه القصة موجودة عند البابليين فى قصة جلجامش ، كما أنها موجودة لدى الأمم الأخرى ، وهي تتخذ مفهوم الصراع بين الله أو كبير الأرباب وبين البشر الذين يريدون أن يعرفوا العلوم والحقائق ، والخير والشر، بينما يريدهم هذا الإله - حسب زعمهم - جهلاء أغمارًا حتى لا ينافسوه على مملكته ، ويرتعب خوفًا من معرفتهم ومن محاولتهم الحصول على الخلود، ومن اتحادهم وتعاونهم، وهو لا يريدهم كذلك بل يريدهم مفرَّقين، لكأنما هو الرجل الأوروبي الذي أوجد سياسة «فرِّق تسدْ» . وهو أمر فى منتهى العجب والغرابة والسخف .

وقد جاء فى سفر التكوين الإصحاح ١١ : «وكانت الأرض كلها لسانًا واحدًا ولغة واحدة .. وحدث فى ارتحالهم شرقًا أنهم وجدوا بقعة فى أرض شنعار وسكنوا هناك . وقال بعضهم لبعض : هلُمَّ نصنع لبنًا ونشويه شيًّا.. وقالوا : هلم نبنِ لأنفسنا مدينة وبرجًا رأسه بالسماء ، ونصنع لأنفسنا اسمًا لئلا نتبدد على وجه كل الأرض . فنزل الربُّ لينظر المدينة والبرج اللذين كان بنو آدم يبنونهما . وقال الرب: **هوذا شعب واحد ولسان واحد لجميعهم ، وهذا ابتداؤهم بالعمل. والآن لا يمتنع عليهم كل ما ينوون أن يعملوه هلُمَّ ننزل ونبلبل هناك لسانهم**

حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض . فبددهم الرب من هناك على وجه كل الأرض فكفوا عن بنيان المدينة. لذلك دُعي اسمها بابل ، لأن الربَّ هناك بلبل لسان كل الأرض. ومن هناك بدَّدهم الرب على وجه كل الأرض» [التكوين ١١ : ١- ٩].

وهي صورة قميئة حقًا، وما أسخف وأحقر هذا الرب الذي يدَّعون، وهو يكره الإنسان عندما يكون مجتمعًا مع إخوته ، وللجميع لسان واحد .. ويعملون فى بناء مدينة عظيمة.. فينزل الرب حسب زعمهم هو وملائكته ليبلبل ألسنتهم حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض، وحتى تضطرب أمورهم ولا يبنون تلك المدينة التي دعي اسمها بابل لأن الرب هناك بلبل لسان كل الأرض وبدَّدهم هناك فى كل اتجاه.

ولا يعرف كاتب السفر أن بابل مدينة عظيمة ولها أبراج ، واستمرت حضارتها قرونًا طوالاً . وقد تم نفى اليهود إلى بابل على يد نبوخذ نصر (بخت نصر) فى سنة ٥٨٦ ق.م . وهذه كلها من خزعبلات يهود وأحبارهم الذين كتبوا هذه الأسفار ، وكانوا على جهل فاضح بالتاريخ كما كانوا فى منتهى الحقارة عندما يصورون الله سبحانه وتعالى بهذه الصورة القميئة.

وهم لا شك أخذوا هذه الترهات من الأمم السابقة لهم . كما أخذوا كثيرًا من هذه القصص من أساطير اليونان عندما قاموا بترجمة توراتهم إلى اليونانية فى عهد بطليموس الثاني (٢٨٥- ٢٤٧ ق.م) .. واختلطت قصص اليونان وأساطيرهم بما هو موجود فى التوراة . ولعلهم فعلوا ذلك متعمّدين لينالوا رضى البطالسة (خلفاء الإسكندر المقدوني وحكام مصر وهم من اليونان) .

وسنجد أن قصة منع آدم من المعرفة موجودة أيضًا لدى اليونان فى القصة المشهورة المعروفة بقصة برومثيوس سارق النار المقدسة، نار المعرفة، والتي أعطاها للإنسان ليعرف الخير والشر والصنائع رغمًا من تحذيرات كبير الألهة زيوس الذي يريد الإنسان جاهلاً ، حتى لا ينافسه فى ملكوته !!؟

مؤلف قصة بروميثوس أيسخيلوس:

يعتبر أيسخيلوس أحد أشهر كتاب التراجيديا اليونانية وله العديد من هذه المسرحيات التراجيدية التي كانت تُمثَّل والتي أثَّرت فى الفكر الأوروبي بصورة خاصة وفى الفكر الإنسانى بصوة عامة .

كان والد أيسخيلوس (يوفوريون) من أهل مدينة إيلوسيس مقرّ عبادة ديميتير وابنتها، ومستودع الأسرار التي ذاع أمرها . وقد تغنَّى الأديب والمسرحي اليوناني سوفوكليس (صاحب قصة أوديب واليكترا) ، وأشاد بها شيشرون الخطيب الروماني المشهور.

ولا يُعرف تاريخ مولد أيسخيلوس ، ولكنه نال جائزه أدبية على أعماله المسرحية سنة ٤٨٤ ق. م . وتم تقدير أنه ولد سنة ٥٢٥ ق.م . واشترك إيسخيلوس فى موقعة ماراثون سنة ٤٩٠ ق.م كما اشترك فى الحرب ضد الفُرس وألف بسببها مسرحيته المشهورة الفُرس .

وقد كتب إيسخيلوس ما يقرب من تسعين قصة ومسرحية ، وحاز على ١٣ جائزة ولم يبق من مسرحياته وقصصه إلا سبع منها قصة الضارعات، وقصة (مسرحية) الفُرس، ومسرحية بروميثيوس.

وقد توفى المؤلف فى صقلية التي هاجر إليها سنة ٤٥٦ ق.م وقيل بل سنة ٤٥٥ق.م.

زيوس رب الأرباب عند اليونان :

إن زيوس نفسه هو من سلالة الألهة . وقد حكم العالم قبله أورانوس (اسم نجم) ثم خلفه - حسب زعمهم- ، كرونوس الذي كان يلتهم أبناءه ، حتى أنقذت زوجته ريا ابنها زيوس منه ، وما لبث زيوس أن شبّ وصار قويًا جدًا فصارع أباه ، وتغلب عليه واعتلى عرش العالم. وسموه المخلّص (نفس الاسم ليسوع المسيح فيما بعد) **Soter** وقد انتشر فى العهد الهلينستي [1] فكرة الخلاص حتى أصبحت المحور الذي تدور حوله الفلسفتان الرواقية (الجادة) والإبيقورية (مذهب اللذة) حتي أصبحت فكرة الخلاص هي التي تدور حولها كثير من الأديان، وفيما بعد تقمصتها المسيحية التي دعا إليها بولس وكانت فكرة الألهة الذين لقوا حتفهم، ثم بعثوا من جديد فكرة رائجة ، ومن هؤلاء الإله ديونيسوس نفسه ، إله التراجيديا .

ولكن كيف أصبح زيوس مُخلّصًا ؟ يقول ايسخيلوس: إن لكل إنسان ، بل لكل كائن حي نصيبه المحدود فى متع الحياة وآلامها ، فإذا تعدى حده فقد ارتكب جريمة، وحق عليه العقاب.

وتوضح قصة بروميثوس الصراع بين الإنسان الذي يريد أن يعرف وبين كبير الآلهة الذي لا يريده أن يعرف ، وسنستعرض هذه القصة بعد قليل. ولكن ما يهمنا أن برومثيوس حسب المؤلف ايسخيلوس ، يعرف سرًا لا يعرفه زيوس ولا يبوح به له، ولهذا استمر زيوس فى تعذيبه ، وأخيرًا أخبره برومثيوس إنه إن تزوج إلهة البحر ثيتيس **Thetis** فستلد له ولدًا أقوى منه فولدت أخيل بطل الألياذة ، واكتسب زيوس

(١) يطلق لفظ الهلينستي : على اليونانيين الذين سكنوا وعاشوا خارج اليونان. وأغلبهم من خلفاء الإسكندر المقدوني ففي مصر عرفوا باسم البطالمة «البطالسة» وفى سوريا عرفوا باسم السلوقيين.

القدرة على التفكير والتعليم ، وتحول من حاكم ظالم لا يفرّق بين الصالح والطالح إلى إله حكيم، وبواسطة زوجته غيَّر زيوس طريقته السابقة فى الحكم حتى جعل إيسخليوس الجوقه تغني وتقول:

لن يصل أحد إلى ما يتمنى

إلا إذا عرف قلبه

زيوس ، القاهر الصديق

زيوس ، المرشد الذي وجَّه

الناس إلى التفكير

زيوس الذي جعل من الألم معلمًا للبشر

وهي صورة مناقضة تمامًا لما كتبه إيسخليوس فى قصته بروميثيوس حيث ظهر زيوس بصورة الإله الجبار الأحمق الذي يعذب بروميثيوس لأنه أعطى النار المقدسة ، نار: المعرفة للبشر[1].

إن فكرة الصراع بين الإله أو الألهة والإنسان من أجل المعرفة عميقة الجذور وخاصة فى الفكر الغربي (اليهودي المسيحي) . وترجع هذه القصة الخرافية إلى موروثات الأمم السابقة مثل قصة جلجامش عند البابليين ، ثم ما جاء فى سفر التكوين فى قصة خلق آدم ومنعه من أن يأكل من شجرة المعرفة.. وبما أن التوراة الأصلية قد ضاعت ثم قام اليهود بكتابة التوراة اليونانية فى عهد بطليموس الثاني (٢٨٥-٢٤٧ق.م) فإنهم استخدموا الأساطير اليونانية المعروفة فى هذا الصدد .

---

(١) لخصنا هذه المادة عن إيسخيلوس وزيوس من كتاب تراث الإنسانية ج ٤/٦٢٠- ٦٢٧: الفُرْسُ لإيسخيلوس عرض الدكتور محمد سليم سالم.

واستعانوا بقصة برومثيوس التي وضعها إيخيلوس فى القرن الخامس قبل الميلاد .

ولا يمكن فهم الحضارة الغربية دون فهم :

١- الحضارة اليونانية .
٢- نصوص العهد القديم والعهد الجديد (الكتاب المقدس).
٣- الصراع بين الكنيسة والعلم، والصراع بين الكنيسة والدولة الحديثة والعقلانية وما تبعها من تغيير لبنية المجتمعات الغربية.

قصة برومثيوس Promethius :

تقول الأسطورة: إن برومثيوس كان من الجيل الأول من أنصاف الألهة وأنصاف البشر المعروفين لديهم باسم تيتانك **Titanic** (الجبار، الهائل ، المردة)[1]. وهؤلاء المردة أو الجبابرة هم نتيجة تناسل الألهة مع البشر. ونرى صدى لهذه العقيدة الخرافية فى سفر التكوين الإصحاح السادس : «وحدث لما ابتدأ الناس يكثرون على الأرض وولد لهم بنات أن أبناء الله رأوا أن بنات الناس حسنات فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا. وبعد ذلك إذ دخل أبناء الله على بنات الناس وولدن لهم أولادًا ،هؤلاء هم الجبابرة الذين منذ الدهر ذووا اسم»[2].

---

(١) قامت هوليود بإخراج فيلم أخذ شهرة عالمية باسم السفينة «تيتانيك» التي صنعت فى العشرينيات من القرن العشرين، واعتبرت وقتها السفينة التى لا يمكن أن تقهر أو تغرق. وهي سفينة مدنية ضخمة وجميلة . وفى أول رحلة لها من بريطانيا إلى الولايات المتحدة غرقت قبالة السواحل الأمريكية . ولم ينج من الغرق سوى أفراد معدودين. وقد أطلق عليها اسم تيتانيك أي السفينة الجبارة الضخمة التي لا تغرق - حسب زعمهم- فغرقت فى أول رحلة لها!!

(٢) ذكرنا هذه القصة الخرافية فى الفصل الثالث : «ما هو المقدس وما هو غير المقدس ص٧١، ٧٢» فليرجع إليها القارئ ولا حاجة لإعادتها، من كتاب العلمانية أصولها وجذورها. إصدار دار القلم دمشق.

وقد تميز بروميثيوس [1] بذكائه الخارق وقدرته على التفكير وإيجاد الصنائع ، وتقول الأسطورة: إنه خدع كبير الألهة زيوس عندما قدم له أضحية مقسمة قسمين ، قائلاً له أن يختار إحداهما ، فاختار زيوس المغطاة بالدهن ظنًا منه أنها مليئة باللحم فلم يجد فيها إلا العظم. أما الأخرى التي تحتوي على اللحم فقد أخذها بروميثيوس لنفسه . وبما أن زيوس هو الذي اختار بنفسه هذه الأضحية المزرية فإنه لم يستطع أن يفعل شيئًا ببروميثيوس رغم تغيظه الشديد عليه وضيقه منه .

وحانت الفرصة لكبير الآلهة زيوس (عند الرومان جوبتير) عندما قام بروميثيوس بسرقة النار المقدسة، نار المعرفة من جبال الأولمب، ولم يكتف بسرقتها بل أعطاها الإنسان وعلّمه كيفية استخدامها والاستفادة منها، فكان ذلك هو التحدي الأكبر للألهة ولكبيرها زيوس على وجه الخصوص.

ويصف إسخيليوس مأساة بروميثوس فى مسرحيته «بروميثيوس مكبلا» «**Prometheus Bound**» حيث يقوم هفيستوس **Hephaestus** بشد بروميثيوس إلى صخرة وحيدًا فى جبال القوقاز ، منفذًا أمر زيوس كبير الألهة ويقول له:

يا ابن ثيمس ، يا حصيف الرأي يا حكيم .

لقد كتب عليك أن تشد بالأغلال

إلى هذه الصخرة العالية التي لا يرقاها إنسان

---

(١) جاءت قصة بروميثيوس بالتفصيل فى كتاب ول ديورانت قصة الحضارة فى مواضع متعددة ج ٦/٨٢، ١٨٦، ١٨٨، ٣٥٢ و ج٧/١٤٠- ٢٤٢، ٢٥٨، ٢٦١، ٢٦٦، ٤٦٦ وجاءت فى دائرة المعارف البريطانية مادة بروميثيوس **Prometheus** الطبعة ١٥ لعام ١٩٨٢ وذكرت عرضًا فى تراث الإنسانية ج ٤/٦٢٠- ٦٢٩ عند الحديث عن مؤلفات إيسخيلوس وجاءت بالتفصيل ج ٤١/٢٥٩- ٢٦٠ من كتاب ول ديورانت قصة الحضارة عند ترجمته لجوته.

ولا تسمع فيها صوت آدمي

أو ترى وجه أحد ممن كنت تحبهم

وحيث تذبل زهرة جمالك محترقة فى حر الشمس اللافح الصافى

وسيقبل الليل مزدانًا بالنجوم وتتسلى بظلاله

فإذا طلعت الشمس بددت بأشعتها صقيع الصباح

ولكن شعورك ببلواك الحاضرة يقضُّ مضجعك

إن هذا هو الذي تجنيه من حُبِّك لبني الإنسان

لأن زيوس صارم شديد، ولأن الملوك المحدثين قساة غلاظ الأكباد.

ويتحدث بروميثيوس عن نفسه متحديًا آلهة الأولمب وكبيرها زيوس. وكيف أنه علَّم البشر، واخترع لهم العدد، وهو باعث الفلسفة، ومكتشف تركيب الحروف، ووهب لهم الذاكرة صانعة الإنسان وكيف اخترع السفن لتجري فى البحر لخدمة الإنسان، وكيف استطاع أن يذلل الحيوانات ويستأنسها لتكون فى خدمة الإنسان، ويتحسر على نفسه وكيف أنه لم يستطع رغم ذلك أن ينجِّي نفسه من انتقام كبير الآلهة زيوس.

وتحزن الأرض لحزنه، حتى أن أمواج البحر تصرخ من أجله، ويخرج من أعماق البحر أنين حزين، وينبعث من كهوف الموتى عويل. وترسل الأمم كلها تعازيها إلى هذا السجين، ولكنهم رغم ذلك لا يستطيعون أن يفعلوا شيئًا لإنقاذه . وتقول له الأوقيونوسات بنات البحر: «لقد كانت تضحيتك أيها الحبيب لا جدوى منها. ألم تر الجنس البشري ضعيفًا فى جهده ونشاطه، ويتألف من حالمين خياليين مكبَّلين

بالأغلال؟» فيغضب زيوس من تعاطف بنات البحر ويرميه فى أعماق بحر طرطروس .

وفى الوقت نفسه يقوم زيوس بخلق أنثى اسمها باندورا **Pandora** وقدمها هدية إلى إبيمثيوس **Epimetheus** (أخ بروميثيوس) فقبلها منه وتزوجها، فقد كان شكلها جميلاً جذابًا مغريًا ، ولم يستمع إلى نصيحة أخيه من قبل الذي حذَّره من قبول أي هدية من زيوس أو من الآلهة.. وكان بروميثيوس قد أعطي أخاه صندوقًا وحذره من أن يفتحه، فلما جاءت باندورا فتحت الصندوق **Pandora Box** فطار منه عشرة آلاف شرٍّ مع الأمراض والأسقام والآلام التي أخذت تُنغِّص على الناس حياتهم. وبهذه الطريقة انتقم زيوس أيضًا من البشر، ووهب زيوس النساء للرجال ليكنَّ لهم مصدر الأذى والشر[1] .

ولم يكتف زيوس بكل ما أصاب بروميثيوس، ولم يتركه فى أعماق البحار ليموت، لأن برمثيوس من أبناء الآلهة ، والآلهة لا تموت،ولكنه أخرجه مرة أخرى من البحر ليضعه فى أعلى صخرة فى قمة جبال القوقاز، وشد وثاقه وسلط عليه نسرًا ينهش كبده كل صباح ، فإذا أتى الليل عادت الكبد إلى سابق عهدها . وفى اليوم التالي يأتي النسر ليكرر المأساة، وهكذا دواليك ، يومًا بعد يوم، وعامًا بعد عام ، وجيلاً بعد جيل، إلى أن مرَّ ثلاثة عشر جيلاً من أجيال البشر وبروميثيوس لا يزال فى عذابه . وأخيرًا ظهر فى بني البشر بطل أسطوري اسمه هريكليوس (هرقل) وعرف مأساة بروميثيوس

---

(١) يتكرر فى الآداب اليونانية وفى التوراة المحرفة أن المرأة هي مصدر الشرور للإنسان ، وأن كبير الآلهة زيوس قدمها للإنسان ليجعلها مصدر شقائه. وفى سفر التكوين من التوراة المحرفة أن حواء هي التي أغرت آدم بالأكل من الشجرة المحرمة. وهي التي سببت له الشقاء ورغم ذلك ترى هؤلاء الغربيين الحاقدين يتهمون الإسلام بأنه أهان المرأة ولن تجد إهانة للمرأة أشد من تلك الموجودة فى دينهم وآدابهم.

بسبب ما قدَّمه للبشر فقرَّر أن ينقذه . وسافر هرقل حتى وصل إلى أعلى قمة فى جبال القوقاز، وكمن للنسر الذي أراد أن ينقضَّ على كبد برومثيوس كما كان يفعل منذ أجيال وأجيال . وفوجئ النسر بيدين قويتين تصارعانه حتى تصرعه، وبعد معركة دامية استطاع هرقل أن يقتل النسر، ويفك أسر برومثيوس. وهكذا انتصرت إرادة البشر على إرادة الآلهة .. واستطاع البشر أن يعلموا كل العلوم بفضل برومثيوس نصف الإله ونصف الإنسان (من جنس المردة التيتانيين) . كما استطاع البشر فى صورة هرقل أن يردّوا الجميل لبرومثيوس وينقذوه من العذاب الأبدي الظالم الذي فرضه عليه كبير الآلهة زيوس[(١)] .

أثر هذه الأسطورة في الآداب الأوروبية :

لقد أثَّرت هذه الأسطورة التي كتبها إسخيليوس عن مأساة برومثيوس فى الفكر الأوروبي تأثيرًا عميقًا . فقد تأثر بها شاعر الألمان الأكبر جوته. وسنستعرض قصيدته بعد قليل . كما تأثر بها الشاعران الإنجليزيان المشهوران : ميلتون فى «الفردوس المفقود» «**Lost Paradise**» وشيلي **Percy Shelley** فى قصيدته «برومثيوس يفك الأغلال» «**Prometheus Unbound**» وقد حيَّاه فيها وسماه الجبار الثائر الذي لم يخضع قط لظلم كبير الآلهة زيوس .

وقد أوحت مأساة برومثيوس للموسيقار بيتهوفن بأعمال موسيقية متنوعة، كما أوحت لمجموعة من الفنانين الرسامين بلوحاتهم، من

---

(١) تقول الأساطير اليونانية : إن هريكليوس (هرقل) هو أيضًا من جنس التيتانيك وهو ابن زيوس نفسه كبير الآلهة من زناه مع الجميلة البشرية (الكامين). ولهذا تميز هريكليوس بالقوة الخارقة التي لا يملكها البشر العاديون. وتصور الأساطير والآداب اليونانية آلهة جبل الأولمب بصور غريبة الأطوار وهم زناة وأوغاد وسفلة وحاقدون على البشر.

أشهرهم الفنان الرسام النحات مايكل أنجلو الذي وضع لوحة تبين مأساة برومثيوس مع الإله زيوس .

قصيدة جوته عن برومثيوس :

غط سماءك يا زيوس بالضباب الملبد بالغيوم
والهو كما يلهو طفل يقطع رؤوس الشوك
على شجر البلوط وقمم الجبال
فأنت لابد تارك أرضي قائمة
وكوخي الذي لم تبنهِ
ومدفأتي التي تحسدني على توهج نارها
لست أعرف تحت السماء من هو أفقر منكم أيها الآلهة
إنكم تغذُّون جلالتكم بالجهد من الضحايا وصلوات الرغبات
ولولا حمق الأطفال والمتسولين المتعللين بالآمال
لماتت هذه الجلالة جوعًا
حين كنت طفلاً لا أعرف فى ماذا أفكر
كانت عيناي الضالتان تتطلعان إلى الشمس
كأن لها أذنًا تصيخ السمع إلى شكاتي
أو قلبًا كقلبي يرق لنفسه معناه
فمن ترى أعانني على غطرسة الطاغية
ومن أنقذني من الموت ؟ من العبودية ؟
أليس هو قلبي المقدس المضطرم

هو الذي صنع هذا كله وحده

ولكنه لحداثته وطيبته ولأنه كان مخدوعًا

فهو يرفع الشكر لذلك النائم هناك

أُمجّدك؟ لماذا؟ هل خففّت مرة أحزان المثقلين بالهموم؟

هل كفكفت مرة دموع المعذبين؟

ألم يفطرني بشرًا؟ ذلك الزمان الجبار والقدر السرمدي

سيّداي وسيّداك ...

ها أنذا قاعد هنا ، أصنع الرجال على شاكلتي

سلالة شبيهة بي

تحزن وتبكي، تفرح وتمرح

وتزدريك كما أزدريك

لقد كان جوته فى شبابه ملحدًا ثائرًا ضد الكنيسة وما تمثله من الدين، ولكنه فى الواقع لم يكن كافرًا بالله سبحانه وتعالى كما أوضحنا ذلك من رسائله إلى صديقه كستنر عام ١٧٧٢ وصديقه هردر عام ١٧٧٤ . وكما رفض صديقه الشاعر شيلر الكنائس كلها البروتستنتيه والكاثوليكية، ولكنه احتفظ بإيمانه بالله (خارج نطاق الكنيسة)، فإن جوته لم يكن كافرًا بالله ، بل كافرًا بالكنيسة، ومرّت عقيدته بالله فى تطورات عديدة من الإلحاد والثورة ضد الكنيسة إلى الإيمان بفلسفة إسبينوزا ثم فى آخر المطاف إلى الإيمان بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًا ورسولاً كما سنوضحه .

وقد كتب جوته إلى صديقه لافاتر فى ٩ أغسطس ١٧٨٢ بعد أن نضج نسبيًا ومر بمرحلة الشباب العنيفة [(١)]: «لست عدوًا للمسيحية، ولامضادًا لروح المسيحية، ولكني قطعًا لا مسيحي.. إنك تقبل الإنجيل كما هو على أنه حقيقة إلهية. حسنًا.. ما من صوت مسموع من السماء يمكن أن يقنعني بأن امرأة يمكن أن تحبل بطفل دون رجل، وأن رجلاً ميتًا يقوم من قبره، وأنا أعدُّ هذه كلها تجديفات على الله، وعلى إعلانه ذاته فى الطبيعة».

وسأله لافاتر هل أنت مسيحي أو ملحد؟ فأجاب جوته: إنه إن لم يترك لي مسيحيتي كما اعتززت بها إلى ذلك الحين، ففى استطاعتي أن أنحاز دون تردد إلى صف الإلحاد، خصوصًا وإنني أرى أنه ما من إنسان يعرف على التحديد المقصود من هذين اللفظين» [(٢)]. «وقد ذهب جوته إلى أن الدين المسيحي ثورة سياسية أجهضت فانقلبت ثورة أخلاقية» [(٣)].

وفى الأدب مئات الصفحات التي فيها من الجمال والفائدة مثل ما فى الأناجيل. ومع ذلك أعدّ الأناجيل الأربعة كلها حقيقية لا غبار على صحتها [(٤)] ففيها يتجلي البهاء المنعكس للقوة السامية التي انبثقت من شخص المسيح وطبيعته الذي كان إلهيًا ما ظهرت الألوهة فى الأرض، وأنا أنحني أمامه بوصفه المظهر الإلهي الأسمى لمبدأ الفضيلة. وهو كلام شاعر يعبر عن إجلاله ومحبته لشخص المسيح المتواضع النبيل. وكشاعر أيضًا قال إنه يقدّر الشمس كما يقدّر المسيح

---

(١) ول ديورانت قصة الحضارة ج ٤١/٣٤٩.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق.
(٤) هذا الكلام قبل أن تظهر الأبحاث الكثيرة عدم صحة الأناجيل وأن نسبتها إلى الحواريين وإلى يسوع لا تصح. كما أن العهد القديم كذلك انتزعت منه قداسته وأنه كتب بيد بشر عاديين ليس لهم من القداسة شيء.

باعتبارها مظهرًا معادلاً من مظاهر القوة الإلهية. وقد أعجب بلوثر (مارتن لوثر الذي أوجد الحركة البروتستنتيه ضد البابا والكاثوليكية) وامتدح حركة الإصلاح البروتستنتي لتخطّيها أغلال التقاليد، ولكنه أسف على انتكاستها العقائدية المتزمته»[1].

وفى عام ١٧٨٩ كتب إلى تسوشتولبرج: «أما أنا فأتمسك بوجه عام بتعاليم لوكر يتيوس[2] وأقصر نفسي وكل آمالي على هذه الحياة» وبالتالي لا يؤمن بالخلود والآخرة . وتغير مع الزمن، وفى بداية شيخوخته قال لاكرمان سكرتيره فى ٢٥ فبراير ١٨٢٤: «لا أريد إطلاقًا أن أستغني عن سعادة الإيمان بحياة مستقبليه ، والحق أني أقول مع لورنزو دي مديتشي: إن الذين لا رجاء لهم فى حياة أخرى هم موتى حتى فى هذه الحياة»[3] وفى ٤ فبراير ١٨٢٥ كتب يقول : «إني راسخ الاقتناع بأن روحنا شيء لا يقبل الفناء مطلقًا» .. وكلما تقدم به العمر ازداد إيمانًا بالله ورسله واليوم الآخر وخلود الروح.

وكتب : «إذا توخيت الدقة فى التعبير، قلت إنه لا يمكنني أن أصل إلى معرفة الله إلا المعرفة التي أستقيها من الرؤية المحددة لمدركاتي الحسية على هذا الكوكب المفرد .. ومعرفة كهذه إنما هي شظية من شظية (أي جزء يسير من جزء يسير من الحقيقة) . ولست أسلّم أن هذه المحدودية التي تصدق على ملاحظتنا للطبيعة ، يجب أن تصدق فى ممارسة الإيمان، فالعكس هو الصحيح ولعل معرفتنا وهي ناقصة بالضرورة، تتطلب الإضافة والاستكمال بفعل من أفعال الإيمان» .

---

(١) المصدر السابق ص ٣٤٩ ، ٣٥٠ .
(٢) فيلسوف يوناني آمن بالطبيعة وأن الدنيا هي حياتنا الأولى والأخيرة ولا خلود هناك.
(٣) المصدر السابق ج ٤١/ ٣٥٠.

وفى عام ١٨٢٠ أسف على تأليفه «برومثيوس» المتمرد أيام شبابه ، لأن شبابًا متطرفين يومئذ كانوا يستشهدون بقصيدته تلك ضد آرائه الإيمانية الجديدة، وكان رأيه أنه من واجبنا ألا نخبر غيرنا بأكثر مما فى قدرتهم تلقّيه، فالإنسان لا يفهم إلا ما يناسبه ».

وهكذا مر جوته بثلاث مراحل فى تفكيره الديني:

١- مرحلة الإلحاد والثورة على الكنيسة :

وإن كان فى قرارة نفسه لا يزال مؤمنًا بقوة غيبية ، ولكنه ناقم أشدّ النقمة على الكنيسة وتعاليمها مع إجلاله لشخص المسيح ﷺ ومحبته له كمثال للطيبة والوداعة والنبل وحسن الخلق والتضحية . وتمثّل هذه المرحلة قصيدة برومثيوس يتحدّى.

٢- مرحلة الإيمان بوحدة الوجود والاتحاد والحلول التي وجدها عند اسبينوزا :

ولكي نوضح هذه المرحلة لابد من كلمات عن اسبينوزا أولاً.

باروخ اسبينوزا (١٦٣٢- ١٦٧٧) :

لقد ولد باروخ اسبينوزا فى أمستردام سنة ١٦٣٢ لأب يهودي كان قد ادعى المسيحية فترة ثم لما أحسّ بحريته عاد إلى يهوديته، واشتغل بالتجارة، وقد فرت الأسرة من أسبانيا والبرتغال بسبب محاكم التفتيش والاضطهاد لليهود فى تلك الفترة. وكانت هولندا أكثر البلاد الأوروبية تسامحا مع اليهود، واستقبلت الكثير من يهود أسبانيا، واستفادت من خبراتهم التجارية، وأعطتهم الحرية الدينية، وخاصة أنها كانت تتبع المذهب البروتستنتي (كالفن) ، وتقف ضد أسبانيا الكاثوليكية التي خاضت ضدها حروبًا عدة. وقد درس الفتى باروخ فى أمستردام عند الحاخامات أولاً ، ثم فى قراءات حرة، واشتغل فى

صناعة العدسات . وعندما لم ترق آراؤه للجماعة اليهودية الحاخامية انتقل إلى لاهاي ، واشتهر بالفلسفة ولكن كتبه لم تطبع فى حياته ماعدا كتابين الأول وهو «مبادئ الفلسفة الديكارتية» ونشره باسمه، والثاني باسم مستعار «رسالة فى اللاهوت والسياسة».

وأما أهم كتبه مثل كتاب «الأخلاق» وكتاب « البحث السياسي» وكتاب «إصلاح العقل» فلم تنشر إلا بعد وفاته . كما نشرت رسائله، ورسالته فى النحو العبري كذلك بعد وفاته.

وتتسم فلسفة اسبينوزا بشموليتها بحيث تشمل الإنسان والطبيعة والفرد والمجتمع والأخلاق والعاطفة، والدين والدنيا، وسياسة الدولة.

وأخذ بنظرية «وحدة الوجود» وهي نظرية قديمة تقوم عليها البوذية والهندوسية ، وتأثر بها من قديم بعض فلاسفة اليونان، وبعض فلاسفة الصوفية من المسلمين مثل عبد الكريم الجيلي والسهروردي القتيل والحلاّج، كما اتهم بها ابن عربي (محيي الدين) صاحب الفتوحات المكية وأبو يزيد البسطامي، وإن كان أتباعهما ينكرون ذلك أشدَّ الإنكار.

وخلاصة فلسفة إسبينوزا أن الجوهر الواحد (اللّه) متمثل فى كافة الموجودات ، فالعقل والمادة والزمان وسائر الظواهر هي صورة يتجلي بها الإله. واللامتناهي يتبدَّى فى صور الطبيعة المختلفة. فاللّه والطبيعة والإنسان وسائر الكائنات متحدة فى شيء واحد. وصفات الإله عنده هي صفات الطبيعة، وهي ذاتها النظام الكلي الشامل للعالم.

ولا حرية للفرد باعتباره فردًا ، بل هو حرٌّ باعتباره جزءًا من كل لامتناه مطلق ، لا يأتيه قسر أو إكراه من خارجه ، ولا مجال لحرية الإرادة الفردية أو للمصادفة. وما يراه الإنسان شرًا ، إنما يبدو له

كذلك لأنه يراه من وجهة نظر جزئية محدودة، ولو رآه من حيث هو جزء من كُلّ لوجده مهمًا وأساسيًا لاكتمال الخليقة الكونية.

وفى هذا الجانب الأخلاقي نجد أن إسبينوزا قد تأثر بالإمام الغزالي، بل إن كثيرًا من علماء المسلمين تحدثوا عن الحكمة الإلهية فى خلق الخير والشر فى هذا العالم . وإنّ ما نحسبه شرًا قد خلقه الله لحكمة قد تخفى علينا لقصور أفهامنا وعقولنا ولكن هذا الشرّ هو أساسي ضمن نظام هذا الكون الذي أبدعه الخالق سبحانه وتعالى . وكمثال بسيط قام سكان منطقة فى الصين بالتخلص من الأفاعي وإبادتها باعتبارها شرًا فأدّى ذلك إلى تكاثر الفئران بشكل مرعب لأن عدوها الطبيعي (الأفاعي) قد تم القضاء عليها. وتبيّن بالتالي أهمية الأفاعي فى الطبيعة والحفاظ على البيئة. وخلاص الإنسان هو أن ينظر إلى نفسه لا بمنظار عواطفه، بل بمنظار العقل ليرى نفسه والكون ضمن هذا النظام الكوني الإلهي الواحد . وذلك هو حبُّ الإنسان لله حبًا عقليًا ، وهو حبٌّ ناجم عن فهم صحيح للحقيقة المطلقة .

وقد أغضبت هذه الفلسفة التي توحِّدُ بين الله والطبيعة فترى الربوبية ماثلة فى الأشياء كلها، رجال عصره ورجال الدين بصورة خاصة ، ومُنعت كتبه من النشر ، ولكن أوروبا كانت فى حالة مخاض ، فسرعان ما انجذبت إلى فلسفته ونشرت كتبه على نطاق واسع بعد وفاته . وتأثر بها أساطين الفكر التنويري فى أوروبا بما فى ذلك إيمانويل كانط ، وجوته، وشيلر ، وغيرهم كثير.

وتم تمجيد إسبينوزا وتضخيم دوره مع أن فلسفته فى وحدة الوجود فلسفة قديمة جدًا ، وكانت مستمرة فى الشرق ، وهي موجودة إلى اليوم فى الهندوسية والبوذية ، ويدين بها معظم سكان شرق آسيا بما

فيهم اليابان والصين والهند وتايلاند وكمبوديا والتبت والكوريتين .. وقد قال بها بعض فلاسفة اليونان تأثرًا بالهنود والبوذيين كما تأثر بها بعض أفراد من الفلاسفة المسلمين على درجات متفاوتة ، وهم سابقون لإسبينوزا ، وأما فلسفته الأخلاقية فقد أخذ الكثير منها من الإمام الغزالي وخاصة فى كتابه إحياء علوم الدين ، وهي فلسفة قال بها كثير من علماء المسلمين.

وتضخيم إسبينوزا هو جزء من مسلسل تضخيم فلاسفة اليهود وعباقرتهم حتى ولو لم يأتوا بجديد.

جوته يتحدث باسم فاوست:

وفى قصته المشهورة «فاوست» تقول له حبيبته الساذجة مارجريت: قل لي ما رأيك فى الديانة؟ لست أنكر أنك من أطيب الناس وأحسنهم، ولكني أخشي أن تكون قليل الإيمان . فاوست : دعي هذا يا حبيبتي. أنت تريني متيّمًا بك وأود أن أبذل من أجل حبك لحمي ودمي، وما أريد أن أسلب أحدًا دينه ومعتقده .

مارجريت : هذا خطأ. يجب على الإنسان أن يؤمن بالدين . قل لي: هل تعتقد وتؤمن بالله ؟.

فاوست : أيتها الحبيبة !! من ذا الذي يستطيع أن تبلغ به الجرأة والقحة أن يقول : أنا أعتقد بالله .

مارجريت : إذن فأنت لا تؤمن بالله ؟

فاوست: لا تسيئي فهمي أيتها الحبيبة: أي الناس يقدر أن ينطق باسمه ومن ذا الذي يستطيع أن يسمّيه وأيّهم يستطيع أن يقول : أنا لا أؤمن به؟ وأيُّ الورى يحس ويبصر ، ويسمع ويعي ثم يجرؤ أن يقول أنا لا أؤمن به؟ ذلك القابض على كل شيء والممسك كل شيء؟ أليس

هو الممسك لي ولك ولنفسه !! أما تنظرين إلى السماء كيف رفعت وإلى الأرض كيف سطحت؟ وإلى هذه النجوم الزهر تسبح فى السماء مرسلة ضياءها الأبدي المحبوب . فمن هذا كله فاملئي قلبك حتى يطفح بتلك السعادة ويستنير بذلك النور . وعندئذ فلتسميه كما تشائين، ولتدعيه بما يحلو لك من الأسماء.. أما أنا فما له اسم عندي . وكل همّي أن أحسّه وأستشعره فالشعور هو كل شيء . وما الاسم إلا صدي لا طائل تحته، أو غمام يستر عن أبصارنا مُحيًا الشمس البديع[1].

وفى هذا المقطع يتضح اضطراب جوته فى مفاهيمه . وهو لا يستطيع أن يؤمن بالله كما تصفه الكنيسة فى قالب التثليث: الله الأب والابن والروح القدس . إنها عقيدة يصعب على كل مفكر أن يؤمن بها . ومع ذلك لا يستطيع أن يقول: إنه لا يؤمن بالله القابض على كل شيء والممسك كل شيء . أما تنظرين إلى السماء كيف رفعت وإلى الأرض كيف سطحت؟ (وهو تعبير منقول تقريبًا حرفيًا من قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ .

[الغاشية ١٧- ٢٠] .

ولا شك أن جوته كغيره من الفلاسفة والمفكرين لم يستطع أن يهضم إله الكنيسة وطقوسها ونظامها الإيماني المعقد، وجعل الواحد ثلاثة والثلاثة واحدًا . ولكنه بفطرته السليمة ونظره إلى

(١) ول ديورانت قصة الحضارة ج ٣٣٢/٤١ وهو كلام يدل على إيمان عميق بالله سبحانه وتعالى ولكنه مضطرب ويرى فى تلك المرحلة عدم أهمية تسميته فلتسمه ما شئت بأي لغة شئت فالله واحد أحد فرد صمد.

الكون الشاسع وإلى السماء كيف رفعت وإلى الأرض كيف سطحت، وإلى النجوم الزهر التي تسبح فى السماء .. وإلى الخالق الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض . الممسك والقابض على كل شيء والمدبر لكل شيء ، والقائم بتدبير كل شيء، بحكمة وعدل ورحمة وقدرة لا حد لها . بهذا كله كان جوته مؤمنًا حقيقيًا .

ويرى أن عقولنا لا تستطيع أبدًا أن تدرك معرفة ذات الله ، ويعبر عن ذلك تعبيرات قد لا نستسيغها ، ولكنها تنم عن هذه الحيرة فيه ، فيقول: «فمن ذا الذي يستطيع أن يسمّيه (أي يعرف ذاته لأن الاسم يدل على ذاته) ؟ ومن ذا يشعر به ويجرؤ على أن يقول: أنا لا أؤمن به؟ لأن هذا الذي يسع كل شيء ويحفظ كل شيء أليس هو الواسع الحافظ لك ولي» [١] .

ويقول عن التسليم لله : ففى طهارة أرواحنا تجيش رغبة حارة فى أن نسلّم أنفسنا مختارين طائعين يحدونا الحمد والشكر لموجود غير معلوم (أي ذاته) أعلى وأطهر، مفسّرين لأنفسنا عن هذا الطريق ، هذا الأزلي الأبدي الذي لا اسم له [٢] . وتلك هي التقوى [٣] ..

وهذا التسليم هو الحبُّ لله . وهو رغبة المتعدد فى أن يفنى فى الواحد ونزوعه النسبي إلى الغرق فى المطلق، هو الشوق إلى الاتحاد بعد الابتعاد ، والاتصال بعد الانفصال وكل شيء فى الوجود يسير نحو هذا الاتصال. وذلك الاتحاد والفناء ، لأن هذا هو الغاية من الوجود .

---

(١) د. عبد الرحمن بدوي: جيته: الديوان الشرقي للمؤلف الغربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ط٢ - ١٩٨٠ ص ٣١.

(٢) بل له اسم وله الأسماء الحسنى ولكننا دون ريب لا ندرك ذاته- تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا .

(٣) المصدر السابق ص ٣٣.

٣- مرحلة الإيمان بالله والاستسلام له وإعلان الإسلام :

لقد تغير جوته فى آرائه الدينية ونضج ، وتحول من الإلحاد أو الكفر بالكنيسة إلى وحدة الوجود ، ولكنه بعد أن شاخ هدأت نفسه وتعمقت معرفته .

وقد بدأت رحلة جوته الإيمانية بقراءته للقرآن فى ترجمة ميجرلن الألمانية سنة ١٧٨١ وكان قد بلغ الثانية والثلاثين ، ثم قرأ القرآن فى ترجمته اللاتينية التي قام بها ماراتش. وأعجب جوته بالقرآن الكريم، ووجده مختلفاً فى نقاط كثيرة عن الكتاب المقدس لدى المسيحيين واليهود.

وبعد أن عاد من رحلته من إيطاليا أشار عليه هردر بالعناية بالآداب الفارسية والهندية ومنذ ذلك الحين (١٧٩١) لم يترك كتابًا واحدًا يصدر عن هذه الآداب الفارسية الا والتهمه، وقد أعجب إعجابًا شديدًا بالأدب الفارسي الإسلامي فقرأ قصة «المجنون وليلى» التي نظمها الشاعر الفارسي نظامي وترجمها هارتمن سنة ١٨٠٧ .

وكان تأثره الأكبر بشمس الدين حافظ الشيرازي ، وبدأ تحوله الواضح وهجرته إلى الشرق ، وعقائده ، منذ عام ١٨١٤ . وفى ذلك العام مر بمدينة فايمار جنود من البشكير المسلمين ورآهم وهم يصلّون فأثر ذلك فى نفسه تأثيرًا عظيمًا وانكبَّ على ديوان حافظ الشيرازي والسعدي ونظامي. وكان حافظ أقربهم إلى نفسه وأحبَّهم إليها . وأعاد قراءة القرآن الكريم فوصل إلى وجوب أن يقوم برحلة روحية إلى الشرق، وسجل ذلك فى قصيدة «الهجرة» الرائعة التي سنستعرضها بعد قليل، ونسمعه يقول :

فلتهاجر إذن إلى الشرق فى طهره وصفائه

كي تستروح جو الهداة والمرسلين

إلى هنالك حيث الطهر والحق والصفاء

أود أن أقود الأجناس البشرية

حين كانت تتلقي من لدن الرب

وحي السماء بلغة الأرض

ويتوجه إلى الله كي ينقذه من الشيطان والهوى . يقول جوته طالبًا الهداية من الله :

يريد الشيطان أن يسلك بي مسالك الضلال

ولكنك تعرف أيها الرب كيف تهديني سواء السبيل

فإن أقدمت على عمل أو نشدت الشعر

فاللهم أنرْ لي جادة الطريق

ويقول فى قصيدة أخرى :

إنني أريد أن أمجّد الحي

ويتحدث عن الشهداء الأحياء عند الله متحدثًا عن شهداء معركة بدر (والمقصود أحد) :

بعد معركة بدر تحت السماء المرصّعة بالنجوم

محمد يتكلم : ليبك الأعداء موتاهم

فقد جندلوا إلى غير رجعة

أما أنتم فلا تبكوا إخواننا

لأنهم يطوفون وراء هذه الأفلاك

والكواكب السبعة كلها

ويتحدث عنهم وهم يدخلون الفردوس وتستقبلهم الحور العين . وبعد أن وصف الجنَّة ونعيمها قال :

هذا هو القليل الذي يمكن ذكره

عن الأمور التي يُباهي بها المسلم السعيد

وفردوس الرجال أبطال الإيمان

قد جُهِّزت هكذا أتم تجهيز

وعن التسليم للّه يقول : «ففى طهارة أرواحنا تجيش رغبة حارة فى آن نسلم أنفسنا مختارين طائعين يحدونا الحمد والشكر للّه ». ويقول: «الصلاة فى الدين كالتفكير فى الفلسفة والحاسَّةُ الدينية تصلّي كما أن العقل يفكّر».

ويقول جوته : «**إذا كان الإسلام معناه التسليم لله فعلى الإسلام نحيا ونموت**». ويقول: «**إن التفويض والتسليم هما القاعدتان الحقيقيتان لكل دين وكذا الخضوع لإرادة عليا تسيطر على مجرى الأمور لا نستطيع إدراكها لهذا السبب نفسه ، وهو أنها فوق مدى عقولنا وإدراكاتنا . وفى هذا يتشابه الإسلام مع البروتستنتية أشد التشابه**».. وهو كلام قاله المستشار فون ملر فى ٢٨ مارس ١٨١٩ وأعجب به جوته ونقله مؤكدًا له.. وفى قصيدته المشهورة الطلاسم :

الشرق ملك لله

والغرب ملك لله

كذلك الشمال والجنوب

كلاهما إلى سلام كفه يؤوب

وحده الذي فى عدله الكمال

من يأمر الإنسان بالصلاح كل حين

تقدست أسماؤه التي تقارب المائة

والعدل من أسمائه سبحانه أمين

إلى آخر القصيدة العجيبة التي سنستعرضها كاملة :

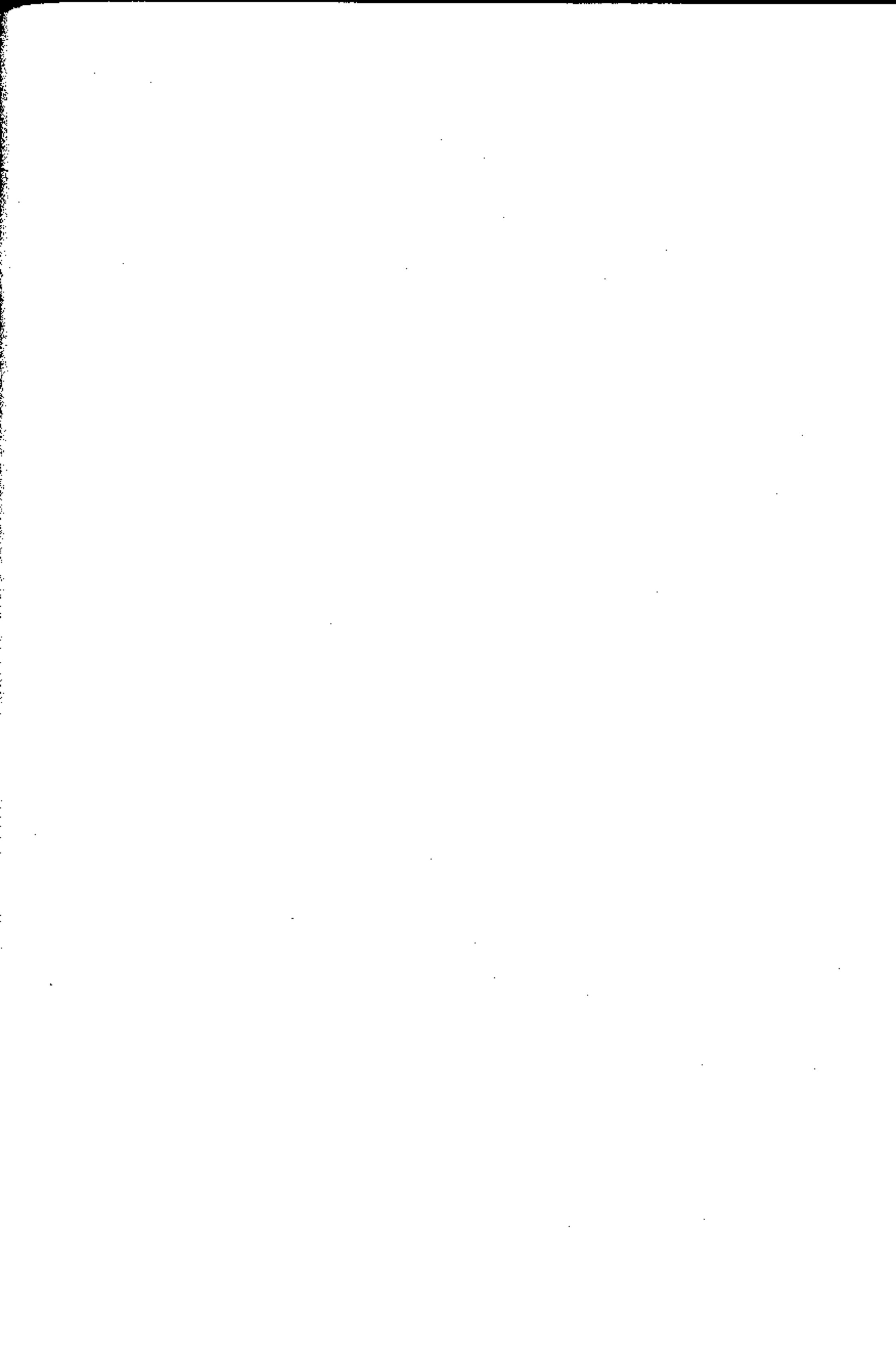
ويوجه خطابًا إلى حافظ الشيرازي قائلاً :

إيه شمس الدين قل لي	لم لقبت بحافظ
حافظ : لم لُقّبت؟ لأني	حافظ الذكر الحكيم
ساهر الوعي عليه	ذلك الأرث العظيم
من أعادي الدهر أحمي	كنز مبعوث كريم
وأنا المؤمن حسبي	ذاك فى اليوم الجسيم

ويقول جوته :

وأنا أيضًا أرى	صدق ذا الرأي المتين

وله قصائد تحذّر من الدنيا وشبّهها بالبغي الداعرة، كما حذَّر من المرأة التي خلقت من ضلع أعوج . والراحة كل الراحة هي فى عمل الخير والمثابرة عليه .. ويتحدث عن القرآن الكريم قائلاً: أيها القرآن الكريم أيتها الطمأنينة الخالدة.





جوته والديوان الشرقي



جوته والديوان الشرقي

يعتبر الديوان الشرقي للمؤلف الغربي لجوته عملاً رائعًا فريدًا فى ذاته. وقد وضعه بعد أن شاخ واطلّع على القرآن الكريم وعلى ترجمات واسعة لشعر حافظ الشيرازي خاصة، وأدباء الفرس المسلمين عامة.

وقد بدأ فيه منذ عام ١٨١٤ وحتى وفاته . ولم تظهر له آثار فنية كبيرة سوى وضعه الجزء الثاني من مسرحيته فاوست . أما الجزء الأول فقد وضعه فى فترة مبكرة من حياته . ولهذا نجد اختلافًا فى الجزأين حيث إن الجزء الأول يمثل شباب جوته وتمرّده على الدين المسيحي، أما الجزء الثاني فيمثل العودة، ومحاولة عمل الخير والخروج من قبضة الشيطان.

وقد أضاف جوته إلى الديوان الشرقي تعليقات جعلها فى آخر الديوان ونشرها سنة ١٨١٩ ، وكانت نتيجة دراسة للآداب الشرقية امتدت عامين (١٨١٦- ١٨١٨) . ثم أضيف للديوان مجموعة من القصائد نشرت بعد وفاته . وبعضها كان يصدم الفكر المسيحي فأخّر نشرها لذلك . فقد غضب من حبيبته التي أهداها عقدًا من اللؤلؤ فوضعت عليه صليبًا ولبسته . فأنكر عليها أن تضع الصليب وأن تعبده فهي عبادة وثنية ، وقارن نفسه بما جاء عن سليمان فى العهد القديم من أنه من أجل زوجاته الألف بنى المعابد الوثنية (وهو أمر كاذب) . ومن أجل حبيبته سيسكت على هذه العبادة الوثنية(عبادة الصليب) ويقول عن يسوع عليه السلام:

ويسوع كان طاهر الشعور
لم يفكر إلا فى الله الواحد الأحد
فمن جعل منه إلهًا فقد أساء إليه
وخالف إرادته المقدسة
ولهذا ظهر الحق لمحمد
وبه نال الفلاح والنجاح . فبفكرة الإله الواحد الأحد
ساد الدنيا بأسرها

وللأسف فإن الاهتمام بالديوان الشرقي لدى الغربيين قليل . ورغم شهرة جوته وكثرة مسرحياته إلا أن القليلين هم الذين عرفوا الديوان الشرقي ودرسوه وأعجبوا به .

ومن الغريب أن ول ديورانت كتب فى موسوعته الضخمة عن جوته فى مواقع عديدة ، وأفرد له فصلاً طويلاً من الجزء الواحد والأربعين (ص ٢٤٥ إلى ص ٣٦٣) ولكنه لم يذكر الديوان الشرقي إلا فى بضعة سطور عندما ذكر حبَّ جوته لمريانة الشاعرة الأديبة التي تبادل معها القصائد عن حافظ والفردوسي ونظامي، وأن جوته كتب اسم مريانة بحروف عربية حول نافورة القلعة (كان جوته يعرف شيئًا يسيرًا جدًا من العربية كما أن الفارسية كانت ولا تزال تكتب بالحرف العربي وهو قد عرف شيئًا يسيرًا منها). وكل ما قاله عن الديوان الشرقي أن مريانة عارضت شعر جوته بقصائد لا تقل روعة عن قصائده . وأن جوته جمع أشعارها وأشعاره فى الديوان الشرقي الغربي الذي نشره عام ١٨١٩ .

وأما دوائر المعارف العربية والبريطانية فلم تتحدث عن الديوان الشرقي وكذلك كثير مما كُتب عن جوته. ولكن الدكتور عبد الرحمن بدوي الذي عاش فى ألمانيا دهرًا قام بهذا العمل الممتاز وترجم الديوان الشرقي وعلّقَ عليه، ونشره باسم الديوان الشرقي للمؤلف الغربي لجيته . ونشرته المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت وطبع مرتين آخرهما ١٩٨٠ . والكتاب يعسر العثور عليه لعدم إعادة طبعه ، وهو لا شك يستحق إعادة الطبع مع ما يجد من معلومات حول إسلام جوته.. ويستحق الدكتور عبد الرحمن بدوي- رحمه الله وغفر له وأسكنه الجنة- بهذا العمل الجبار كل تقدير وتوقير، فهو عمل نادر وأهميته شديدة الخطورة ، وخاصة فى هذه الأيام ، إذ لابد من نشر تراث هؤلاء العباقرة من أهل الغرب الذين مجّدوا الإسلام وعظّموا القرآن ومدحوا خير الأنام محمدًا ﷺ .

ومما جاء فى مقدمة عبد الرحمن بدوي عن جوته وإعجابه بالشرق:

«ولكن إعجاب جيته بالشرق وآثاره ، ظل حتى سنة ١٨١٤ إعجابًا سلبيًا كإعجاب الناظر المتفرج يمدُّه حبُّ الاستطلاع إلى الوقوف على مختلف الأشياء وطلب الغذاء الروحي من شتى الموائد ..

أما فى هذه السنة (١٨١٤) وما تلاها فقد اتخذت صلة جيته بالشرق صبغة جديدة فلم يعد إعجابه هذا الإعجاب السلبي الخالص، وتلك المتعة الوديعة الهادئة، وإنما انقلبت إلى امتزاج قوي بين روح وروح، وبين دم ودم، فروح الشرق نفذت إلى أعماق جيته ، واتحدت بكل عنصر من عناصره فتفاعلت وإياه تفاعلاً قويًا ، تمخّض عنه هذا الأثر الفني الرائع الذي نحن بصدده ، ألا وهو «الديوان الشرقي للمؤلف الغربي» ..

كان جوته يعاني من حالة نفسية عنيفة، وصفها بنفسه، حيث قال: «شعرت شعورًا عميقًا بوجوب الفرار من عالم الواقع المليء بالأخطار التي تهدّده من كل جانب فى السرِّ والعلانية (حروب نابليون المدمرة فى أوروبا رغم إعجاب جوته به) لكي أحيا فى عالم مثالي، أنعم فيه بما شئت من الملاذ والأحلام بالقدر الذي تحتمله قواي».

وكان هذا العالم هو الشرق .. وكان جوته يحلم بأن يصبح للإنسانية أدب واحد مشترك تمدُّه روافد جميع الأمم قديمها وحديثها.. وحاول أن يجمع فى نفسه بين آداب الأمم جميعها . فبدأ بالأمم الأوروبية، ثم انتقل إلى الشرق وحاول أن يجمع بين الشرق والغرب ويجمعهما فى بوتقة واحدة، هي نفسه الفسيحة القابلة للتأثر بكل تيار أصيل ولهذا سمَّى ديوانه هذا : «الديوان الشرقي للمؤلف الغربي» فهو مزيج بين الشرق والغرب .

وفى يناير عام ١٨١٤ مرَّ بمدينة فيمار عاصمة دوقية ساكس فايمار (التي كان جوته يعمل فيها كمستشار أعلى لدوقها كارل أوجست) جنود من البشكير المسلمين .. ورآهم وهم يصلّون فأثرَّ ذلك فى نفسه أيمّا تأثير.

ولكن العامل الأقوى هو قراءته لديوان شمس الدين حافظ الشيرازي، وفى هذا يقول فى مذكراته عن سنة ١٨١٥ : «استطعت أن أحصل فى العام الماضي على ترجمة فون همر لديوان حافظ كله . فإن مجموعة أشعاره قد أثَّرت فىَّ تأثيرًا عميقًا حملني علي أن أنتج وأفيض بما أحس وأشعر ، لأني لم أكن قادرًا علي مقاومة هذا التأثير القوي على نحو آخر . لقد كان التأثير حيًا قويًا ، فوضعت الترجمة الألمانية بين يديّ ووجدت نفسي أندفع إلى مشاركته فى وجدانه . وإذا بكل ما كان كامنًا فى نفسي ، مما يشبه ما يقوله حافظ ، سواء فى موضوعه أو فى معناه، يبدو ويظهر وينبعث مني بقوة وحرارة ».

وانطلق جوته فى رحلة فى ٢٥ يوليه ١٨١٥ إلى منطقة الراين الجنوبية الجميلة الفاتنة، ملاعب صباه، ومرتع طفولته . وزارها مرة أخرى، ونزل ضيفًا على أسرة من أسر مدينته التي ولد فيها (فرانكفورت) . وفى هذه الأسرة عرف مريانة فون فليمير واشتعل قلبه بحبّها وبادلته هي حُبًا بحب . فكان من ثمرة ذلك الحبِّ مجموعة من القصائد التي وضعها فى هذا الديوان.

وتابع جوته دراسته للآداب الشرقية من سنة ١٨١٦ إلى سنة ١٨١٨ وكان من ثمرتها التعليقات والمباحث التي تُعين على فهم الديوان . وجعلها فى آخر الديوان، وطبع الجميع لأول مرة سنة ١٨١٩ ثم أضيفت مجموعة من القصائد بعد وفاته وألحقت بالديوان.

والديوان يشيد بطبيعة الإنسان ويحمل طابع التفاؤل والإقبال على الحياة، ويدعو إلى المؤاخاة بين الأمم والشعوب . ثم هو مملوء بنظرة صوفية عميقة فى الحياة بجميع مظاهرها .

خروج جوته إلى الشرق مسافرًا وحده عبر السنين مصطحبًا حافظ.

يقول جوته :

دعوني وحدي مقيمًا على سرج جوادي

وأقيموا ما شئتم فى دياركم ومضارب خيامكم

أما أنا فسأجوب من الأنحاء قاصيها على صهوة فرسي

فرحًا مسرورًا لا يعلو على قلنسوتي غير نجوم السماء

ويقول وهو يغادر فى رحلته الروحية نحو المشرق:

لله المشرق

ولله المغرب.

والشمال والجنوب

يستظلان بالسلام بين يديه.

ويقول فى قصيدته (الهجرة) :

الشمال والغرب والجنوب تتحطم وتتناثر

والعروش تثلُّ والممالك تتزعزع وتضطرب

فلتهاجر إذًا إلى الشرق فى طهره وصفائه

كي تستروح جو الهداة والمرسلين

إلى هنالك حيث الطهر والحقّ والصفاء

أود أن أقود الأجناس البشرية

فأنفذُ بها إلى أعماق الماضي السحيق

حين كانت تتلقّى من لدن الربّ

وحي السماء بلغة الأرض.

هناك حيث كان الآباء يُقدّسون

وعمّا يتقدم به الغريب من خدمة يمتنعون

أجل هنالك أود التملّي بحدود الشباب

فيكون إيماني واسعًا عريضًا وفكري ضيقًا محدودًا

وأود أن أتعلم كيف تُقدّس الكلمات

وفى يميني أن أدخل فى زهرة الرعاة

وأن أجدد نشاطي فى ظلال الواحات

حين أرتحل فى رفقة القافلة

متّجرًا فى الشيلان والبنّ والمسك

وفى عزمي أن أسلك كل سبيل

من البادية إلى الحضر ومن الحضر إلى البادية

وبث أشواقه إلى حافظ الشيرازي الذي جعله دليله فى هذه المهمة العظيمة ويخاطبه قائلاً :

إي حافظ إن أغانيك لتبعث السلوى

إبّان المسير فى الشعاب الصاعدة والهابطة

حين يغنّي حادي القوم ساحر الغناء

وهو على ظهر دابته

فيوقظ بغنائه النجوم فى أعلى السماء

وإنه ليحلو لي إي حافظ المقدس أن أحيي ذكراك

إيمان جوته ودعوته لله أن يعيذه من الشيطان الرجيم :

وفى قصيدة أخرى يتحدث عن محاولات الشيطان فى إضلاله لكنه يدعو الله أن يثبّته على الحقّ، وأن يهديه إلى الصواب، وأن يصرف عنه كيد الشيطان فيقول:

يريد الشيطان أن يسلك بي مسالك الضلال

ولكنك تعرف أيها الربُّ، كيف تهديني سواء السبيل

فإن أقدمت على عمل أو نشدت الشعر

فاللهم أنرْ لي جادّة الطريق

وأيًا ما فكرت فى شأن مما فى دنيانا من شؤون

فسأرتفع به إلى أعلى عليين

إن روحي التي لم تعلق بها أثارة من تراب

لتسمو فى أعمق أعماقها إلى الملكوت الأعلى

ولا يجد جوته حرجًا وهو الغربي المسيحي فى أن يعتبر نفسه مسلمًا يؤمن برسالة محمد ويدين بالإسلام . وبهذا كله يتغَّنى جوته فى الكتاب الأول من الديوان الذي سماه «المُغَنِّي» (تقليدًا لحافظ الذي سمي الكتاب من غزلياته مغني نامه أي: كتاب المغني).

كتاب المُغنِّي (من الديوان الشرقي) :

يتحدث جوته عن تجربته الروحية فى الشرق، ويصف ما أنتجته نفسه من تطورات وآثار فهو فى قصيدة (الهجرة) يتحدث عن عملية إعادة الشباب التي قامت بها هجرته إلى الشرق . ويصف كيف استطاع الشرق فى بساطته .. أن يحيله إلى شاب كما استطاع ينبوع الخضر صاحب موسى الكليم أن يعيد الشباب إلى حافظ الشيرازي الذي شرب كأسًا من هذا الينبوع!

وتتسم نظرة جوته للدين بأن الأديان كلها تصدر عن ينبوع واحد هو هذه الظاهرة الدينية الأولية، وليست الأديان المختلفة إلا مظاهر متعددة لهذه الظاهرة لأن الله فوق مستوى كل عقل بشري، وكل تصوير له تقريبي نسبي تبعًا لهذا، ولذا ففى كل دين عنصر إنساني يختلف زيادة ونقصًا تبعًا لبعد هذا الدين أو قربه من تلك الظاهرة الدينية الأولية .

الاستعداد للموت والفناء من أجل البقاء :

وفى قصيدة «الحنين السعيد» التي اختتم بها جوته كتاب «المغني»، وهي أحسن ما فى الديوان ، يتغنّى جوته، فى لغة أهل التصوف، بالفراشة التي تعشق النور، وتصبو إلى حياة أعلى وأسمى ، فتقذف بنفسها فى لهيب الشمعة وتحترق . ترمي بنفسها فى هذا اللهيب طائعة مختارة لأنها تعشق النور عشقًا حملها على الفناء فيه . وعلى هذا النحو ينظر جوته إلى الحبّ. فالحبُّ فى نظره تضحية وفناء، تضحية من الحبيب بذاته للفناء فى شخص المحبوب عن طريق الاتحاد به والامتزاج وإياه . وكل حبيب مخلص فى حبّه ينشد هذه الوحدة ويتحرق شوقًا إلى تحقيقها، ولن يبلغ الحبُّ كماله وأوجّه إلا إذا تم الاتحاد وحدثت التضحية والفناء . يقول جوته فى قصيدته الحنين السعيد :

لا تتحدث بهذا الحديث لغير الحكماء

فالعامة سرعان ما تتلقاه منك بالاستهزاء

إني أريد أن أمجّد الحيّ

الذي يتحرق شوقًا إلى لهيب الموت

فى قشعريرة ليالي الحب

يغزوك شعور غامض غريب

حين تضىء الشمعة الوديعة الهادئة

حينئذ لا تظل غارقًا

فى ظِلال الظلام الظليلة

إنما يمزّق فؤادك نزعة جديدة

نحو اتحاد أعلى وامتزاج سام

ولن يعوقك البعد مهما طال

بل ستأتي سريعًا طائرًا قد أخذك السحر

فتعشق النور

وأخيرًا تحترق كما تحترق الفراشة

وطالما لم تفهم هذا الحديث

مُتْ واستحل إلى جديد

فستظل ضيفًا مجهولاً مُعتمًا

على هذه الأرض المظلمة

الشهداء الأحياء عند الله :

والحرص على الموت كي توهب لك الحياة هي سبيل الشهداء المحبّين لله، حيث ارتفعوا بحبِّهم لله إلى درجة التضحية بحياتهم، وهم يرون فى ذلك سعادتهم .. والمحبُون لله يفنون عن العالم الخارجي ثم يكون لهم بعد ذلك البقاء الأبدي، فهم فى فترة الفناء لا يرون إلا الله سبحانه وتعالى الفاعل لكل شيء، والموجد لكل شيء والمتصرف فى كل شيء . والموجودات الأخرى لا وجود لها بالحقيقة إلا بأمره وإمداده وفضله وكرمه، ولولاه لما كانت أصلاً ، ولو أراد إعدامها بعد إيجادها لتمَّ فناؤها فناء أبديًا .. فمُتْ أيّها المحبّ لتكون لك الحياة الأبدية التي جعلها الله للشهداء.

ويتحدث جوته فى قصيدته السماح بالدخول (الحورية) عن الحارسة أمام باب الفردوس ، ولكنها لا تسمح لأحد بالدخول حتى يُريها الجراح التي استشهد بها. ويقول الشاعر : إنه حاول أن يدلف إلى الجنة

فمنعته من الدخول حتى يريها جراحه التي استشهد بها. وإليك القصيدة:

أنا اليوم حارسة

أمام باب الفردوس

ولست أدري جيدًا ماذا أفعل

فأنت تبدو لي مريبًا

هل أنتَ حقًا شبيه

بالمسلمين الصادقين؟

هل جهادك وفضائلك

هي التي بعثت بك إلى الجنة

إن كنت واحدًا من هؤلاء الأبطال

فأرني جراحك

التي تنبئني عن أفعال مجيدة

وحينئذ أسمح لك بالدخول

فيرد الشاعر ويتحدث لها عن كونه محاربًا ومجاهدًا .. ولديه جراح الحب وجراح المعركة أيضًا .

شهداء معركة بدر (والمقصود أحد) :

ويتحدث الشاعر فى قصيدة أخرى عن شهداء معركة بدر (لعل المقصود شهداء معركة أحد . ولا يُلام الشاعر على ذلك فهو ليس من المختصين بدراسة السيرة النبوية) . عنوان القصيدة : **ناس ممتازون:**

بعد معركة بدر تحت السماء المرصَّعة بالنجوم

محمد يتكلم: ليبكِ الأعداء موتاهم

فقد جُندلوا إلى غير رجعة

أما أنتم فلا تبكوا إخواننا

لأنهم يطوفون وراء هذه الأفلاك

والكواكب السبعة كلها

وأبوابها المعدنية مفتوحة على اتساعها

وأحبابنا الممجّدون هاهم يقرعون

أبواب الفردوس بجسارة

ويجدون هناك دون توقع

ألوان البهاء التي لم يسمح بها

والتي يمسّها معراجي

حين يحملني الفرس العجيب [1] فى لحظة خلال السموات

وأشجار الحكمة منظومة صنفًا صنفًا وقائمة كالسرو

ترفع إلى السماء الزينة الذهبية لتفاحاتها

وأشجار الحياة تنشر ظلاً وارفًا

وتعطي أرائك الأزهار وأبسطة الخضرة

ثم يَهبُّ نسيم عليل من المشرق

(١) يقصد «البراق» الذي ركبه الرسول ﷺ ليلة الإسراء والمعراج.

فيأتي إلى هناك بكوكبة بنات السماء (الحور العين)

فتبدأ تستمع بناظريك

والرؤية وحدها تبعث فينا تمام الرضا

وهن يقفن سائلات : ماذا أنجزت ؟

مشروعات عظيمة ؟ معارك خطرة دامية؟

أما إنك بطل فهذا أمر يعرفنه لأنك وصلت إلى هنا

لكنك بطل من أي نوع ؟ إنهن يردن أن يعرفن

وسرعان ما يكتشفن ذلك فى جرحك

الذي يشيد لنفسه تمثالاً من المجد

والسعادة والعظمة .. كل هذا زال

وبقي فقط الجرح الذي أصبت به فى سبيل الإيمان.

ثم يصف بعد ذلك الجنة والحور العين والشراب الطهور وخمر الجنة لأنها كلها متاحة لهذا الشهيد العظيم الذي مات فى سبيل الله ومن أجل الإسلام.

وصف الجنة عند جوته :

وفى وصفه للجنة يستلهم ما جاء فى القرآن الكريم عن وصفها وبالذات ما جاء فى سورة «الواقعة»، و«الرحمن»، و«النجم» كما استقى صورًا عنها من ديوان حافظ الشيرازي وشَرح فون همر فى كتابه تاريخ فنون القول الجميل عند الفرس.

يقول جوته: إن الحور العين يقتدن الشهيد إلى الجنة بما فيها من نعيم:

فيقتدنك إلى خمائل وجواسق
فيها آلاف من الأعمدة الحجرية الوضاءة المتعددة
ويدعونك إلى شرب العصير النبيل للأعناب الماجدة
ويقربّن الكؤوس من شفتيك برشاقة ولطافة
أيها الشاب وأكثر من شاب مرحبا بك
نحن جميعًا وضّاءات صافيات
ولو ضممت إلى قلبك إحدانا
لصارت ملكة حظاياك وصديقتهن
لكن أكملنا لا تغتبط
أبدًا فى هذه الروائع
ساجية بغير حدّ بريئة تلاطفك
بكمالات سائر صواحبها المتعددة
إحداهن تقتادك إلى احتفال الأخريات
الذي تنظّمه كلٌ منهن بحماسة فائقة
وسيكون لديك حينئذ نسوة كثيرات
ويسود السلام فى البيت.
وهذا يستحق أن ينال المرء من أجله الجنة
فاهنأ إذن بهذا السلام

لأنك لا تستطيع أن تستبدل به شيئًا

إن أمثال هؤلاء الآنسات لن يُملنَّك

وأمثال هذه الخمور لن تسكرك [١]

هذا هو القليل الذي يمكن ذكره

عن الأمور التي يباهي بها المسلم السعيد

وفردوس الرجال أبطال الإيمان

قد جُهِّزت هكذا أتمَّ تجهيز

وهكذا يتحدث جوته عن الحب الذي يفنى (من الفناء) فيه المحبُّ عن نفسه تمامًا كما تفنى الفراشة فى النور الذي تعشقه. ومت أولاً عن نفسك وعن هواك وعن الشهوات وعن حبِّ الدنيا . وصفِّ قلبك من الأدران حتى تحلَّ فيه الأنوار. واملأ قلبك بحبِّ الله حبًا يملأ عليك شغاف قلبك فلا تحب أحدًا إلا فيه وله . ولا تبغض شيئًا إلا من أجله.

ثم جاهد فى سبيل الله وقاتل الكفار واطلب الموت توهب لك الحياة. والموت فى سبيل الله أغلى أمانينا ، فإذا مِتَّ فى سبيل الله فُتحتْ لك أبواب الحياة الأبدية. والشهداء هم الأحياء حقًا ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ ﴾ [آل عمران ١٦٩- ١٧١].

(١) يشير إلى قوله تعالى: ﴿ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴾ [الصافات: ٤٧].

وأرواح الشهداء فى حواصل طير خضر تطوف فى الجنان وتستمتع بما فيها (كما جاء فى الحديث) [١] فى تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾

[آل عمران ١٦٩].

ويتغني جوته بالشهيد وهو يأتي إلى الجنة فيُرى (حسب خياله الشعري) الحورية حارسة الجنة جراحه حتى تسمح له بدخولها . وتبدو الجراح كما كانت فى الدنيا : اللون لون الدم أو الزعفران، ولكن الريح ريح المسك[٢].

ويصف جوته الجنة بخياله الشعري وبما استقاه من وصفها من القرآن الكريم ومن ديوان حافظ الشيرازي .. وهو على أية حال لم يقرأ القرآن بالعربية وإنما فى ترجمات لم تكن دقيقة، ولا يمكن أن تكون . وهذه الترجمات للقرآن ليست قرآنًا بل هي ترجمات لمعاني القرآن كما استطاع أن يفهمها المترجم .

حافظ وجوته والحبّ:

جوته شاعر مجيد وكأي شاعر مجيد لابد أن يتغني بالحبّ.. وقد أحبَّ جوته فى شبابه وفى شيخوخته الهادئة العميقة التي اتصل فيها

---

(١) قال ﷺ: «أرواحهم فى جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل فاطّلع إليهم ربهم إطلاعة، فقال: هل تشتهون شيئًا؟ قالوا: أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا، ففعل ذلك بهم ثلاث مرات فلما رأوا أنهم لن يتركوا قالوا يا ربّ نريد أن تردّ أرواحنا فى أجسادنا حتى نقتل فى سبيلك مرة أخرى» .. أخرجه مسلم كتاب الإمارة، والترمذي فى تفسير آل عمران وفضائل الجهاد وابن ماجه فى الجنائز وأحمد فى مسنده.

(٢) أخرجه أصحاب السنن الأربعة (أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه) وفيه أي الحديث : «من قاتل فى سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة . ومن سأل الله القتل فى سبيل الله صادقًا من نفسه ثم مات أو قتل كان له أجر شهيد. ومن جرح جرحًا فى سبيل الله أو نكب نكبة فإنها تجيء يوم القيام كأغرز ما كانت، لونها لون الزعفران وريحها ريح المسك».

أيما اتصال بحافظ الشيرازي شاعر الحبِّ والتصوف . وحافظ الشيرازي (توفى سنة ١٣٨٩م) هو أحد أشهر وأفضل شعراء الفارسية وكان يمزج بينها وبين أبيات باللغة العربية . وهو حافظ للقرآن الكريم عالم بالقراءات والتفسير، ومع ذلك فهو رائع العشق عميق التجربة، وكشعراء الصوفية الملهمين يتحدث عن الحب والعشق وعن المحبوبة ومقصده فى الغالب الحب الإلهي، كما أنه يتحدث عن الخمر، وليس مقصده الخمور الأثيمة التي تذهب العقل ويحرِّمها الدين، وإنما كما تحدث مَنْ قبله ومَنْ بعده عن خمر الغرام وكؤوس الطلى التي تدار بين المحبّين فى الجنة.

ورغم ذاك مال بعض الدارسين لحافظ الشيرازي أنه كان ينفعل فيحبُّ حبًا حقيقيًا للنساء الجميلات اللاتي أحبَّهن، وأن الشراب لم يكن رمزيًا فقط، بل شراب حقيقي، وهو قول رفضه كل الدارسين من الفرس لحافظ وكثير من الغربيين.

وأما جوته فقد أحبَّ حافظًا وامتلأت به نفسه ورأى أنه فعلاً كان يحبُّ حبًا حقيقيًا النساء اللائي شبَّبَ بهن . وأنه جمع الرمز والحبّ الإلهي إلى الحب العذري الحقيقي . وكذلك الشراب، وهو رأي يحتاج إلى مراجعة، حيث عُرف حافظ الشيرازي بمكانته الدينية كحافظ للقرآن، عالم بالقراءات والتفسير، ومن المستبعد جدًا أن يشرب حافظ الشيرازي الخمور، أما النبيذ وهو ما ينتبذ من العنب أو التمر ويشرب قبل تخمّره فأمر مباح ، كما أن للأحناف قولاً بالسماح بشرب ما لا يسكر من العصيرات من غير العنب والتمر ، فالقدر غير المسكر مباح منها.

ولا شك أن الجوانب الرمزية تغلب على شعر هؤلاء الشعراء ، وهو أمر معروف فى الشعر العربي، وكم من الفقهاء الأتقياء تغنّوا بحبٍّ

الشادن الغنج ، وشرب المدامة، وهم لا يعرفون غير ما أحلَّ الله لهم من الزوجات الطاهرات أو ما ملكت أيمانهم، ومن الشراب الطهور.

وحافظ الشيرازي قد قام بتدريس القرآن وتعليم القراءات والتفسير، وعني بالدراسات الدينية والنحوية، وجمع حوله عددًا كبيرًا من التلاميذ، ولذا فإننا نميل إلى ما قاله الدارسون من الفرس وكثير من الغربيين بأن الرجل كان تقيًّا نقيًا، وأن ما ورد فى شعره من الحبِّ فهو الحبُّ المباح ، والذي يشير أيضًا ويرمز إلى الحب الإلهي ، وكذلك الشراب فهو شراب أهل الجنة الطهور .

وحافظ يقول :

إن بالقرآن حُقّــق كل ما أفلحتُ فيه

على أية حال أُعجب جيته بحافظ الشيرازي ، وجعله إمامه وقدوته فى تغنّيه بالجمال والطبيعة والمرأة والورد والليل والخمر والحبّ فى هدوء ومرح.

جوته وزليخا وحاتم:

وعندما ذهب جوته فى رحلته إلى منطقة الراين الجميلة الفاتنة فى يوليه ١٨١٥ تعرف على مريانة فون فليمير واشتعل قلبه بحبِّها ، وأحبّته كذلك ، وكانت فاتنة وأديبة وشاعرة ونتج عن هذا الحب (العذري) قصائد جميلة عديدة حفل بها الديوان الشرقي، وقد دعاها فيه باسم «زليخا» التي أحبَّت يوسف عليه السلام من كل قلبها ، حُبًّا أفقدها صوابها أول الأمر، وجعلها تحاول أن تُغريه بكل وسيلة فلما فشلت فى ذلك دبّرت أمر سجنه . ولكنها طوال تلك الفترة كانت تتعذّب بحبِّه أكثر مما كان يلاقيه فى ذلك السجن. فلما أمر الملك بإخراجه من

السجن قال لرسول الملك: ﴿ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾ [يوسف: ٥٠ - ٥٣].

وانتهى الأمر بزليخا (امرأة العزيز الذي قالوا عنه إنه كان عنينًا) بأن تزوجت يوسف عليه السلام بعد أن مات زوجها ونعمت به ونعم بها. وقد اتخذ حافظ الشيرازي اسم زليخا علمًا لحبيبته وكذلك فعل جوته.

وقد سمّي جوته نفسه «حاتم» . وكما يقول الدكتور عبد الرحمن بدوي فإن النقاد لم يجدوا تفسيرًا لهذا الاسم ، فحاتم الطائي اشتهر بالسخاء والكرم ولم يعرف بالحبّ، وكان يمكن أن يسمّى نفسه قيسًا أو جميلاً. ولكن الدكتور عبد الرحمن بدوي يرى أن اسم حاتم مناسب تمامًا لجوته لأن حاتمًا اشتهر بالجود والكرم. وأقصى الجود والكرم، الجود بالنفس، وقد جاد جوته بنفسه فى سبيل زليخا وفني فيها ، واتحدّ بها فى عالم الأرواح، مما هو واضح وجلّي فى كتاب «زليخا» من الديوان الشرقي. وهو أقرب إلى الحب الصوفى الإلهي الذي يتحدّث فيه المحبُّ عن الفناء والاتحاد. والشاعر يزعم أنه يسخو بروحه ، ويبذل نفسه من أجل المحبوب، فلا ريب إذن أن اسم حاتم المشهور بالبذل والعطاء هو اسم مناسب لهذا الشاعر المحبِّ المتدلّه فى حبٍّ زليخا .

ويقول جوته عن كتاب زليخا إنه يحتوي على قصائد عاطفية عنيفة، ويتميز عن كتاب العشق بأن المحبوبة مذكورة بالاسم، وأنها

تتجلى بطابع شخصي صريح على أنها شاعرة تنافس الشاعر الذي لا ينكر تقدّمه فى السن، وفى عواطفه ووجدانه المشبوب، والمحيط الذي تجري فيه هذه الدراما الثنائية كله فارسي، وهنا تنفذ بعض المعاني الروحية، وحجاب الحب الدنيوي يخفى علاقات أسمى[1].

والكتاب تعبير عن الحبّ المشبوب بين مريانة فون فليمير وجوته وكان حُبُّ الشيخ لها حبًا عميقًا مختلفًا عن قصص حبّه فى الشباب لشرلوت وليلى، فهناك كانت العواطف جياشة والحبُّ عنيفًا، أما ها هنا فهو أكثر عمقًا ، وأسمى من الحسّ وأقرب إلى الحبّ الصوفى الإلهي .

أما الفتاة فكان حُبُّها حبَّ الشباب فهي فى الثلاثين من عمرها أو أقل قليلاً ، وهي التي تعلن حُبَّها له عندما نسي الشيخ حافظة صوره عند سفره، فأرسلتها إليه مع قصيدة تعلن فيها حُبَّها العميق المشبوب.

ولكن الشيخ يكتم ما فى قلبه حتى يعود بعد عام إلى مريانة والراين فيردُّ عليها بقصيدتين يرمز فيهما إلى الحبِّ الذي نشأ بينه وبين مريانة بقصة زليخا ويوسف عليه السلام مستلهمًا القرآن الكريم وما ورد فى ديوان حافظ الشيرازي .

العمامة على رأس جوته :

وفى عيد ميلاده السادس والستين تُقدِّمُ له مريانة عمامة من أجود أنواع الشيلان الهندية يحيط بها أكليل من الغار. وقد قصدت بذلك أن يكون تحقيقًا لقصيدة جوته بعنوان «الشعر الشرقي» التي يقول فيها :

---

(١) مقال لجوته فى صحيفة الصباح سنة ١٨١٦ برقم ٤٨ ص ١٨٩ نقلاً عن عبد الرحمن بدوي جيته الديوان الشرقي للمؤلف الغربي، المؤسسة العربية للدراسات بيروت ط٢ ص ٢٠٩.

إليَّ إليَّ أيها الحبيب

ضع العمامة على رأسي

فمن يدك وحدها تكون العمامة جميلة

وإن عباس شاهنشاه إيران

لم ير رأسه قد توجت بعمامة أجمل وأروع

وازداد الحب اشتعالاً بحوار بين حاتم (جوته) وزليخا (مريانة) . يقول حاتم:

ليست الظروف هي التي تخلق من اللص لصًا

ولكنها نفسها أكبر اللصوص

لأنها سطت على بقية الحبِّ التي كانت باقية فى قلبي

وسلّمتها إليك

فأصبحت فقيرًا وصارت حياتي وقفًا عليك

ومع ذلك فإني أشعر بالحنين فى الشرارة المقدسة

المنبعثة من نظراتك

وأنعم بحظّي الجديد بين ذراعيك

وترد زليخا قائلة:

طوبي لك فى حبك

إني لا ألوم الظروف

حتى ولو أنها قد سطت عليك

فما ألذَّ هذا السطو وأقربه إلى قلبي

ولست أدري لماذا يحلو لك أن تسمي هذا سطوًا ؟

فلم لا تقدم إليَّ قلبك فى حرية واختيار؟

أجل إني أود أن أقول لك بكل قلبي

نعم أنا الذي سطوتُ عليك

إن هذا الذي تُقدِّمه طواعية واختيارًا

سيقدِّم لك ربحًا عظيمًا

فها هي ذي راحتي وها هي ذي حياتي الخصبة

أبذلها لك فى سرور وغبطة

فتقدَّم وخذها

كفى هزلاً ولا تتحدث عن الفقر

أولا يجعلنا حُبُّنا أغنياء

وانطلق الحبُّ بعد ذلك يغني بقصائد رائعة جميلة . وهو يتغني بحبيبته التي يريد أن يعطيها كل ملك تيمور (لنك):

إن ممالك تيمور يجب أن تكون ملك يمينك

وأن يدين لك جيشه العرمرم بالولاء

وأن تدفع لك بذخشان جزية من الياقوت

ويدفع لك بحر هور قانيا جزية من الفيروز

وبذخشان شمال شرق أفغانستان مشهورة بالياقوت والفيروز . وأما بحر هورقانيا فلا أعرفه ، ويعطيها فواكه بخارى وبلاد الشمس، ولؤلؤ الخليج ، والأفاويه والبخور من البصرة ، وكل جمال بخارى وسمرقند.

وكل ما تتطوي عليه الأرض من سعادة

لا أجده إلا فى زليخا

فلتبذلْ نفسها لي

لكي تصبح ذاتي أثمن عندي

ولو انصرفت عنيّ

لأضعت ذاتي فى الحال

ويستمر الديوان «زليخا» ضمن الديوان الشرقي متأثرًا بحافظ ومعبرًا فى الوقت نفسه عن عمق عواطف هذا الشيخ الذي فتن بمريانة وفتنت به أو قل بشعره ورقته وأدبه.

قصة الخلق كما يتصورها جوته [1]:

يتحدث جوته كما يتحدث الصوفى فيقول كما ينقله عنه الدكتور بدوي «لقد كان الكون راقدًا فى حضن الألوهية الأبدي ، حتى انتشر الله بنشوة أثارت فى نفسه لذة للخلق جليلة وسامية فأمر بأن توجد الساعة الأولى فقال كلمة الحضرة: كن ، فترددت آهة أليمة حينما انقذف الكون إلى الوجود فى قوة وألم . وبدأ النور فانفصلت عنه الظلمة جزعة خائفة ، وسرعان ما فرَّت العناصر وتشتتت بددا ، وصارت قددًا ، إذ اندفع كلٌّ، متخذًا سبيله بقوة فى الفضاء حتى هبط كتلة هامدة فى المكان السحيق، دونما رغبة ولا ضوضاء فكان صمت عميق وكانت وحشة .. فخلق الفجر مزيجًا من

(١) استقى جوته بعض ما قاله من سفر التكوين ، وبعضه الآخر يبدو إلهامًا وهو قريب من النظرية الحديثة حول بداية الكون «الانفجار الكوني» أو بج بانج Big Bang وتعني الصاخة ، القارعة، الطامة الكبرى . وتقول النظرية: إن الكون بدأ بها ثم سينتهي بها وهي يوم القيامة.

النور والظلمة وسُلّما من الألوان متدرجًا لقوانين الأعداد . وهذا الفجر هو رمز الانقباض والانبساط فى الكون . والانقباض والانبساط هي الحياة . وهكذا وجدت فى الكون نزعة إلى الاتحاد ، أي وجِدَ الحب (باعتبار أن الحب يمثل الاتحاد بين كائنين)، فأمكن من جديد أن يُحبَّ المنفصل ماعنه انفصل، فاندفعت الموجودات فى لهفة وإسراع كلٌّ يبحث عما كان به متحدا وكانت قسعريرة حبّ تتردّد فى أنحاء الكون، فتتداعى بها عناصر الوجود، فيتحد كلٌّ بأخيه حريصًا كل الحرص على هذا الاتحاد.

الدين والاتحاد :

وتلك هي الظاهرة الأولية للدين، فهي نزوع المتعدد إلى الاتحاد بالواحد ، أو نزوع الفرد إلى الفناء فى الله ، ولغة هذا النزوع أو المظهر الذي يتحقق فيه هي الصلاة . ثم يذكر جوته أن الصلاة هذه تكون بالوجدان وبالعقل وتدفع إلى القول، وهي فى أعماقها لا يمكن التعبير عنها بالقول لأن القول لا يستطيع أن يعبر عن هذه الظاهرة العميقة للدين فى طهرها وصفائها وشدتها وامتلائها.. فالتجربة الروحية ابنة اللحظة التي يعانيها المرء ، وكما يقول نوفالس : «الصلاة فى الدين كالتفكير فى الفلسفة ، فالصلاة هي التدين.. والحاسة الدينية تصلي كما أن عضو التفكير يفكر».

«والأديان على اختلافها ليست غير محاولة لتحقيق هذه الظاهرة الأولية ، فهي فى غايتها وجوهرها واحدة، وإنما لغة التعبير عن هذا الجوهر وتلك الغاية تختلف بين دين ودين آخر. فلننظر إلى الأديان المختلفة نظرتنا إلى أنواع النبات المختلفة، أي لنحاول أن ندرك فى

كلّ منها الظاهرة الأولية للدين ، وليست تعنينا بعد الصور المختلفة التي تظهر فى كل دين من الأديان».

وفى ذلك كله أصاب جوته شيئًا من الحق ثم انبهم الأمر عليه ورأى فى كل دين شيئًا من الحق . وقال فى تلك الفترة : «ليست الدعوة الدينية من شأني ولكني كنت أبحث دائمًا وبكل إخلاص عن الوحدة الدينية، ولم أجد فى تاريخ العالم كله من يوم أن خُلق دينًا أستطيع أن أعتنقه اعتناقًا تامًا».

ولكن جوته أدرك أن الدين عند الله الإسلام : قال : ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾

[البقرة ٢١٣].

وقد جاء فى **تفسير ابن كثير** [١]: قال ابن جرير بسنده عن ابن عباس قال : كان بين نوح وآدم عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ، وقال هي فى قراءة عبد الله (أي ابن مسعود) (كان الناس أمة واحد فاختلفوا) .. ورواه الحاكم فى مستدركه .. قال صحيح الإسناد، ولم يخرجاه (أي الشيخان البخاري ومسلم) .. وكذا روى أبو جعفر الرازي عن أبي

(١) ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي) : تفسير القرآن العظيم، طبع عيسى البابي الحلبي – القاهرة ج١ / ٢٤٩- ٢٥١.

العالية عن أُبيّ بن كعب أنه كان يقرؤها (كان الناس أمة واحدة فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين). وقال عبد الرزاق بسنده (كان الناس أمة واحدة) كانوا على الهدى جميعًا (فاختلفوا فبعث الله النبيين) فكان أول من بُعث نوحًا . وهكذا قال مجاهد كما قال ابن عباس أولاً . لأن الناس كانوا على ملة آدم حتى عبدوا الأصنام فبعث الله إليهم نوحًا عليه السلام فكان أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض.

وفى صحيح البخاري عن عائشة أن رسول الله ﷺ كان إذا قام من الليل يصلي يقول : «اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض ، عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون . اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم» . وفى الدعاء المأثور : «اللهم أرنا الحق حقًا وارزقنا اتِّباعه وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، ولا تجعله ملتبسًا علينا فنضل، واجعلنا للمتقين إمامًا».

جوته والإسلام :

يقول عبد الرحمن بدوي [1] : والديوان الشرقي أعظم وثيقة عبّر فيها (جوته) عن موقفه إزاء الدين والأديان فيما عدا تراجمه الذاتية.. وطبيعي أن يكون نصيب الإسلام من بين هذه الأديان جميعًا النصيب الأوفر فى هذا الديوان، لأن الديوان قد نشأ تحت تأثير إسلامي خالص تقريبًا .. ولهذا نرى الطابع الإسلامي غالبًا على كل شيء فيه حتى القصص التي وجدت أصولها فى المسيحية ووردت فى

---

(١) عبد الرحمن بدوي: الديوان الشرقي للمؤلف الغربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ط٢ ، ١٩٨٠ ص ٣٦.

القرآن، لم يشأ جوته أن يأخذها من مصادرها الأصلية، بل أخذها عن القرآن ، كما فعل فى قصة أهل الكهف. ثم إن الإسلام هو الدين المميز الرئيسي للشرق القريب، بينما المسيحية مثلاً غربية أكثر منها شرقية [1] فطبيعي إذن أن تتجه غاية «الديوان الشرقي» إلى الدين الشرقي المميز وهو الإسلام .

ولطالما أظهر جوته إعجابه الشديد بالإسلام ، حتى اعتبره هو والتقوى شيئًا واحدًا . وهذا واضح من تعريف جوته للتقوى (وهو قوله : ففى طهارة أرواحنا تجيش رغبة قوية حارة فى أن نسلم أنفسنا مختارين طائعين، يحدونا الحمد والشكر لموجود غير معلوم (أي الكنه والذات) أعلى وأطهر. مفسِّرين لأنفسنا عن هذا الطريق هذا الأزلي الأبدي الذي لا اسم له (بل له الأسماء الحسنى) وتلك هي التقوى).

ويقول جوته :

إذا كان الإسلام معناه التسليم لله فعلى الإسلام نحيا ونموت جميعًا : وهو كلام مهم يوضح بجلاء إسلام جوته قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ ﴾ [آل عمران: ١٩] وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ [آل عمران : ٨٥] وقال تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [آل عمران :٨٣]وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ

(١) الصواب أن المسيحية إنما نشأت فى الشرق وعيسى ﷺ ولد فى بيت لحم فى فلسطين وعاش فيها، وانتشرت المسيحية أولاً فى بني إسرائيل، ثم قام بولس بنشرها فى الإمبراطورية الرومانية. وتحولت بالفعل من دين توحيدي إلى دين فيه كثير من عقائد الوثنية مثل : التشكيك، التثليث، وعقيدة الفداء وعقيدة العشاء الرباني.. إلخ. وكل ذلك جاء به بولس وبالفعل تحولت المسيحية الحقة التي جاء بها عيسى إلى دين خليط من الديانات الوثنية وديانة التوحيد.

أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ [النساء : ١٢٥] وهو دين الأنبياء جميعًا قال تعالي :﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة:١٢٧-١٢٨]
وعن إبراهيم عليه السلام قال تعالى : ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ [البقرة : ١٣٠- ١٣٣] وقال تعالى لمحمد ﷺ وصحبه : ﴿ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ [البقرة ١٣٦] .

والآيات فى الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فى هذا الباب كثيرة جدًا ، وفيما ذكرنا غُنية ومقنع لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

ويؤكد جوته معنى الإسلام والاستسلام لله فى طاعة ومحبة وشوق، وأن نسلم أنفسنا مختارين طائعين يحدونا الحمد والشكر لله سبحانه وتعالى الأبدي الأزلي. وينقل ما قاله المستشار فون ملر فى ٢٨ مارس ١٨١٩ : «إن التفويض والتسليم هما القاعدتان الحقيقيتان لكل دين، وكذا الخضوع لإرادة عليا تسيطر على مجرى الأمور، لا نستطيع إدراكها ، لهذا السبب نفسه، وهو أنها فوق مدى عقولنا وإدراكاتنا ، وفى هذا يتشابه الإسلام مع البروتستنتية أشد التشابه».

ولعل السبب فى إعجاب جوته بالإسلام كما يقول عبد الرحمن بدوي [1] هذا الإعجاب الشديد إلى جانب فكرة التسليم، ما رآه من جانب إيجابي يميل إلى توكيد الفعل وتوكيد الحياة عن طريق الفعل، ولهذا نراه فى كتاب «الخلد» من هذا الديوان لا يعنيه من بين الذين دخلوا الجنة من المسلمين غير الشهداء الذين قتلوا فى سبيل الله فيصور النبي بعد موقعة بدر (والصواب أحد لأنها التي قتل فيها سبعون من الصحابة بينهم حمزة عم النبي ﷺ) وقد وقف تحت سماء صافية مرصعة بالنجوم يؤبن الشهداء. وقد سبق أن نقلنا ذلك كله مع التعليق عليه .

أمثلة من شعر جوته المتعلقة بالإيمان والإسلام:

قصيدة الخاطر الحر:

دعوني وحيدًا أقيم على سرج جوادي

وأقيموا أنتم ما شئتم فى دياركم ومضارب خيامكم

أما أنا فسأجوب من الأنحاء قاصيها على صهوة فرسي

فرحًا مسرورًا ، لا يعلو على قلنسوتي غير نجوم السماء

لقد خلق الربُّ لكم الكواكب فى الأفلاك

كهاد السبيل فى الأرض وفوق الماء

ولكي تتملّوا بما لها من فتنة وبهاء

مشرعين العيون دائمًا إلى أعلى السماء

(١) عبد الرحمن بدوي : الديوان الشرقي ص ٣٧ .

والفقرة الثانية تشير إلى قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [الأنعام:٩٧]. وقد قرأ جوته ترجمة هذه الآية مكتوبة بحروف كبيرة كشعار كتبه فون همر في بحثه حول «صور النجوم عند العرب» [(١)] .

قصيدة طلاسم :

وهي قصيدة إيمانية عظيمة يبدأ فيها متأثرًا بقوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ﴾ [البقرة : ١١٥] وقوله تعالى: ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾.

[البقرة : ١٤٢].

لله المشرق ولله المغرب

والشمال والجنوب يستظلان بالسلام بين يديه

الله الله هو العدل

يقسم بين الناس بالعدل

فلتسبحوا إذن بهذا الاسم المكين

من بين أسمائه المائة آمين

وها هنا نرى جوته وقد عرف اسم الله العدل وأسماءه المائة ، بينما كان في السابق ينكر أن له اسمًا لأن الاسم حسب زعمه تحديد لذاته وذاته لا يمكن أن تحدد وتدرك فهو فوق الإدراك . وكان جوته يخلط حقًا ، وهو أن الله فوق الإدراك : ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ (الأنعام : ١٠٣) وباطلاً وهو أن الله سبحانه وتعالى أعظم وأعلى من أن يكون له اسم.

---

(١) عبد الرحمن بدوي : الديوان الشرقي ص ٦٥.

وقد عرف جوته خطأه فأقر بذلك وأنشأ هذه القصيدة التوحيدية العظيمة التي تذكر أسماء الله الحسنى صراحة واختار منها اسم العدل .

ثم يتوجه جوته بالدعاء لله أن يكفيه شر الشيطان فيقول :

يريد الشيطان أن يسلك بي مسالك الضلال

ولكنك تعرف أيها الربُّ كيف تهديني سواء السبيل

فإن أقدمتُ على عمل أو أنشدت الشعر

فاللهم أَنِرْ لي جادة الطريق

وكيفما فكّرت فى شأن مما فى دنياي من شؤون

فإني لمرتفع به إلى أعلى عليين

إن روحي التي لم تعلق بها أثارة من تراب

لتسمو فى أعمق أعماقها إلى الملكوت الأعلى.

ألا إن فى التنفس لنعمتين

نعمة الشهيق ونعمة الزفير

فى الأولى ضيق وفى الأخرى سعة وانتعاش

وهكذا ما أعجب مزيج الحياة

فلتحمد ربك إذن إن أحرجتك أو حلت بك الكروب

واشكره حتى يأتيك بالفرج المرغوب

وقد ترجم هذه القصيدة الشاعر المهندس الصديق الوفى الدكتور شهاب محمد عبده غانم فى ديوانه أقمشة السماء.. ويبدو

الفرق واضحًا بين ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوي وترجمة الشاعر الرقيق شهاب محمد عبده غانم :

الشرق ملك الله

والغرب ملك الله

كذلك الشمال والجنوب

كلاهما إلى سلام كفه يؤوب

ووحده الذي فى عدله الكمال

من يأمر الإنسان بالصلاح كل حين

تقدست أسماؤه التي تقارب المئة

والعدل من أسمائه

سبحانه آمين

يقودني التطواف للضياع والأوهام

وأنت وحدك الذي تقدر أن تنقذني من الهيام

فدُلّني يارب كلما أخط تلكم الحروف والنقاط

وكلما أفعل أي شيء ، دُلّني إلى الصراط

وإن تكن من هذه الحياة

تدور ما لدي من تأملات

فإن ذاك الأمر لا يحرمني الثبات

فالروح لن تضيع كالغبار فى الرياح

بل سوف تسمو للعلى فى عالم الأرواح

هناك فى تنفس الإنسان نعمتان

هناك الإنعاش فى الزفير

ثم الضغط فى الشهيق

وهكذا الحياة مزيجها العجيب والفتان

فلتحمد الإله حين تعصف الحياة

وحين تغدو من ضغوطها طليق.

ويتحدث جوته عن أسماء الله الحسنى، ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ وفى الحديث: «إن لله تسعًا وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة» وقد اختار من أسمائه الحسنى اسم العدل الذي تقوم به السموات والأرض. ويعتقد الدكتور عبد الرحمن بدوي أن جوته تأثر بمذهب المعتزلة حين اختار هذا الاسم، ومن المعلوم أن المعتزلة قد تعلقوا بهذا الاسم وسمّوا أنفسهم «أهل العدل والتوحيد» ولكن لا دليل على أن جوته قد درس الفرق الإسلامية واختار مذهب المعتزلة، فاسم العدل اسم عظيم ترنو إليه النفوس الضامئة إلى العدل. وهذه الدنيا هي دار الظلم والبغي، والعدل عنده سبحانه وتعالى يثيب المحسن والصالح ويعاقب المسيء والطالح .

ويطلب جوته من الله سبحانه وتعالى الهداية وأن يبعده عن طريق الغواية، وأن يكفيه كيد الشيطان والنفس والهوى . وأن يجعل ما يكتبه ويقوله من شعر وسيلة إلي الوصول إلى سواء السبيل، وروحه ترفرف بعيدة عن وهدة الطين إلى أُلْق الأرواح فى عليين. ونرى صدى قوله تعالى :

﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝ ﴾ (الفاتحة٦ - ٧) .

أما الفقرة الرابعة فمصدرها ما قاله السعدي الشاعر الفارسي المشهور حيث جاء فى مقدمة ديوانه «جُلستان» : كل نَفَسٍ يتنفسه الإنسان يطيل من محيَّاه، وكل نفس يخرجه منه يسرُّ وجوده، فثمة نعمتان فى كل نَفَسٍ، وكل نعمة تستأهل منا الحمد والشكر».

وقد أحسن جوته فى ذكر هاتين النعمتين وخلص منها إلى حكمة عجيبة : «فلتحمد ربك إن أحرجتك أو حلّت بك الكروب ، واشكره حتى يأتيك بالفرج المرغوب».

نِعمٌ أربع :

وينتقل بنا الديوان إلى قصيدة أخرى تتحدث عن نعم أربع . وهذا هو عنوانها تحدث فيها عن الأعراب فى بلادهم الشاسعة وهم فى السلم آمنين: وهبهم العمامة وهي خير من التيجان ووهبم السيف الذي يذود عن الأهل والكرامة ، كما منحهم القدرة على الشعر المتوهج فى قصائدهم الرائعة، ومنحهم الله الخيام كي ينتقلوا بها ويقيموا متى أرادوا ذلك.

نِعَمٌ أَرْبعَ:

كيما يجتاب الأعراب بلادهم الشاسعة فى يسر وحبور

حباهم الله من النعم أربعًا حتى يكونوا فى السلم آمنين

وهبهم العمامة التي تزين، خيرًا من تيجان الملوك أجمعين

وخيامًا بها يقيمون وينتقلون كيما يأووا إلى أي ركن يبتغون

ثم وهبهم سيفًا يحمي ويذود خيرًا مما يفعل السور العالي والصخرة الصيخود

كما منحهم قصيدًا يشجي وقصيدًا يفيد تتلفّتُ شوقًا إليه نفوس الغيد

أواه إني لا تعنني هادئ البال بالزهر العاطر المتدلي من الشمال
وحبيبتي تعلم حقًا ما لها من ذي الأزهار
لذا تظل راضية عني، ترفُّ على جبينها الأنوار
وأني لأعرف حقًا كيف أتقدم إليكم
بالنديّ من الأزهار والشهيّ من الثمار
وإن شئتم معها شيئًا من الحكم
فسأهدي إليكم منها الناضج المعطار

الخلق والإحياء :

وفى قصيدة «الخلق والإحياء» يتحدث عن خلق آدم عليه السلام من صلصال من حمأ مسنون ونفخ الرب فيه من روحه ودخلت الروح الأنف فعطس فحمد الله ، وهو يستلهم فى ذلك القرآن والحديث . قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ [الحجر: ٢٦]. ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٢٨) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٢٩) ﴾

[الحجر ٢٨- ٢٩].

وقد ذكر البخاري فى صحيحه كيف دخلت الروح من أنفه فلما وصلت دماغه عطس وجاء فى تفسير ابن كثير (عن ابن جرير) : «فلما نفخ الله فيه من روحه أتت النفخة من قبل رأسه فجعل لا يجري

شيء منها فى جسده إلا صار لحمًا ودمًا .. فلما تمت النفخة فى جسده عطس فقال : الحمد لله رب العالمين ، بإلهام من الله، فقال الله له : يرحمك الله يا آدم»[١] .

الخلق والإحياء:

آدم كان فلذة من صلصال مسنون
أحالها إلى إنسان ربُّ العالمين
ولكنه أتى من بطن أمه
بالكثير من القبيح المشؤوم
ثم نفخ الربُّ فيه
روحًا دخلت أنفه حتى فيه
هنالك صار خلقًا آخر
لأنه بدأ يعطس
وبالرغم من ذا ظل بالرأس وحدها ، والأعضاء
أشبه ما يكون بكتلة من المادة الموات
إلى أن اكتشف نوح الحقيقة .. أين ؟ فى الكاس
وسرعان ما شاعت فى الكتلة الموات
حين أصابها ندى الكأس ، سورة الحياة
شأنها إذن شأن العجينة
تبعث الخميرة ما بها من حركة دفينة

(١) تفسير ابن كثير سورة البقرة : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ ﴾ ج١/٧٥.

وهكذا ، إي حافظ ليكن قصيدك الرائع

وليكن مثلك السامي القدوس

هاديًا يحدونا خلال جرس الكؤوس

ويهدينا بعد إلى معبد خالقنا الصانع

وفى هذه القصيدة إشارات واضحة لما ورد فى القرآن الكريم من خلق آدم من صلصال من حمأ مسنون . وفيه قصة نفخ الروح وكيف دبت هذه الروح حتى وصلت إلى الدماغ فعطس، فحمد الله . أما الذين ولدوا من بطون أمهاتهم من نسل آدم فقد أتى بعضهم بالكثير من القبيح المشؤوم .

وللأسف تأثر جوته بأساطير العهد القديم وبالذات فى سفر التكوين حيث زعموا أن نوحًا عليه السلام زرع الكرم ثم عصره حتى تخمَّر ثم شربه وسكر .. وللخمر عند النصارى معانٍ غريبة ويربطونها بالروح، ولهذا يسمونها المشروبات الروحية فهي عندهم تُعلي شأن الروح إذا شربت باعتدال . وكل ذلك قد أثَّر على جوته ، فهو ابن ثقافته وبيئته. وقد درس التوراة والعهد القديم فى ترجمتها الألمانية ثم درسها بالعبرية ، وأعجب بنشيد الإنشاد (من العهد القديم) على رغم ما فيه من غزل فاضح لا يليق بكتاب ديني. وقصة نوح مع الخمر وردت فى سفر التكوين الإصحاح ٩/٢٠- ٢٧ وفيه : « وابتدأ نوح العمل على الأرض وغرس كرمًا . وشرب من الخمر فسكر وتعرّى داخل خبائه ، فأبصر حام أبو كنعان عورة أبيه.. وأخبر أخويه خارجًا (أي خارج الخباء) فأخذ سام ويافث الرداء ووضعاه على أكتافهما ، ومشيا إلى الوراء وسترا عورة أبيهما ووجهاهما إلى الوراء فلم يبصرا عورة أبيهما ، فلما استيقظ نوح من خمره، علم ما فعل ابنه الصغير فقال : ملعون كنعان . عبد العبيد يكون لإخوته . وقال مبارك الرب إله سام.

وليكن كنعان عبدًا لهم . ليفتح الله ليافث فسكن فى مساكن سام ، وليكن كنعان عبدًا لهم».

وهذا من أعجب العجب فكنعان هو ابن حام ولا علاقة له بالقصة سوى أنه ابن حام، وهو وأبناؤه قد سكنوا فلسطين، وبما أن اليهود يريدون الاستيلاء على فلسطين فلابدً أن يلعنوا كنعان وليكن كنعان عبدًا لهم . أما حام فقد تحول لونه إلى اللون الأسود. ولهذا يجوز، وأحيانًا يجب، استرقاق هؤلاء السود الأفارقة لأنهم أبناء حام!! وهي نظرة عنصرية حقيرة وبغيضة جاء بها الرجل الأبيض . وللأسف لم ينتبه جوته لهذه النقاط، وإنّما أثّرت عليه ثقافته التوراتية فظن أن ذلك صواب. وأن نوحًا شرب الخمر التي فيها حركة الروح!! (إلى أن اكتشف نوح الحقيقة . أين؟ فى الكاس وسرعان ما شاعت فى الكتلة الموات حين أصابها ندى الكأس، وسورة الحياة) .

وفى العقائد المسيحية، وخاصة فى القربان (العشاء الرباني المقدس) تتحول الخمر إلى دم المسيح الذي يشربه المؤمنون . وللخمر عند شاربيها، فى هذا الطقس خاصة ، بُعْدٌ روحاني (وتسمي الخمور المشروبات الروحية، وهو أمر سخيف) . ويضاف قليل من الماء إلى الخمرة حيث إن الماء هو الوجه الطبيعي أو المادي والخمر هي الوجه الروحاني . والمزج عند الكنيسة الكاثوليكية يشير إلى الطبيعة المزدوجة ليسوع من الروح والجسد. ولابد من مباركة الماء قبل مزجه بالخمر لأن المسيحي يؤمن بضرورة تطهير جسده قبل امتزاجه مع المسيح . ولذا لا تمزج الخمر إلا بماء طهور قد تمت مباركته من قبل الكاهن لأن يسوع لا يتحد إلا مع المصلّين الأطهار.

ويرفع الكاهن الكأس إلى أعلى لكي تصير الخمر روحانية تمامًا ، ويدخل روح القدس ويحول الخمر إلى روح ويسكنها . وهذا ما يلاحظ إلى اليوم فى الحفلات العامة عندما يرفع شاربو الخمر الكؤوس قبل أن يرشفوا منها وهم يقولون : فى صحتك !! وهي أوهام وخرافات لدى هؤلاء خاصة وموجودة حتى اليوم. ولا عجب إذن أن يتأثر بذلك كله جوته رغم رفضه للمسيحية فى شبابه . ولكنه فى كهولته بدأ يعود للدين، وميله واضح للإسلام والقرآن ، ولكنه لم يتشبّع به ولم يجد أحدًا من المسلمين يدلّه ويرشده . واعتمد فى ذلك على قراءاته وإعجابه بحافظ الشيرازي وما قرأه من ترجمات للقرآن والسيرة . وهو أمر لا يغني فى هذه المسائل، ولهذا فنحن نعذر جوته فيما يقوله، ونحمد له مدحه للإسلام والقرآن.

وجوته حتى فى هذه السن المتقدمة وفى هذا الديوان الشرقي ينتقد الرهبان فنراه يقول فى قصيدته «ثابت ماهر» التي يمدح فيها الشاعر الصادق ثم ينتقل فيقول :

لأيها الريهب (تصغير راهب) بلا طرطور ولا زنار

لا تخضْ فى حديثي ولا تثرثر من حولي

أجل ، إنك تحطّمني، ولكنك لا تجعلني متواضعًا

إن ألفاظك الجوفاء تبعدني عنه

وهأنذا قد ألقيت به تحت أقدامي

حينما تدور طاحونة الشاعر فلا تقفها

لأن من يفهمنا يغتفر زلاتنا

والشاعر هاهنا يسخر من الرهبان وأصحاب الزنانير كما يسخر من الرومانتيكيين النائحين ، وقال عنهم:

إنهم يطفئون نور البهو فى أرض الله
محيلين إياها إلى وادي الأحزان والبؤس
هنالك تكتشف سريعًا كم هم بائسون

كتاب حافظ (حافظ نامه) :

لقد ذكرنا كيف تأثر جوته بحافظ الشيرازي تأثرًا كبيرًا واعتبره إمامه، وإن بينهما قدرًا كبيرًا من العواطف والأفكار المشتركة :

ويبدأ كتاب حافظ بقصيدة بعنوان «لقب الشاعر» وهى على هيئة حوار:

(جوته) :

إيه شمس الدين قل لي لم لقبت بحافظ

حافظ :

لمَ لُقبتُ ؟ لأني حافظ الذكر الحكيم
ساهر الوعي عليه ذلك الإرث العظيم
من أعادي الدهر أحمي كنز مبعوث كريم
وأنا المؤمن حسبي ذاك فى اليوم الجسيم

(جوته) :

وأنا أيضًا أرى صدق ذا الرأي المتين
فإذا كنا نرى ما يراه الآخرون
اشتبهنا أجمعين .
واشتبهنا نحن أيضًا فمن السفر المقدّس

قبست نفسي صورة   مثلما رفّت بملبسِ

صورة الفادي الأنس

وقد كتب جوته فى «مجلة» الصباح للطبقات المثقفة سنة ١٨١٦ عن كتاب حافظ «ها هو ذا حافظ نامه (كتاب حافظ) ، وقد كُرِّسَ لوصف هذا الرجل العظيم وتقديره وتمجيده . كما أن به تعبيرًا عن الصلة التي تربط بين الشاعر الفارسي والشاعر الألماني الذي تحمَّس له وتعلق به إلى درجة من الوجد هائلة . ونعته هنا بأنه لا يستطيع أن يبلغ شأوه ولا أن يلحق به».

وفى هذه القصيدة يوضح لنا لماذا سمي شمس الدين حافظًا لأنه حافظ لكتاب الله ساهر عليه، دارس ومدرّس له ، ناشر لحكمته وعلومه مدافع عنه كيد الأعادي). ويؤكد جوته ما قاله حافظ ويؤمِّن عليه ويصدّقه. ثم يذكر أنه أيضًا يؤمن بالسفر المقدس (التوراة والإنجيل) وأنه يقدّر صورة الفادي عيسى ﵇ ويعلن حبه له وعشقه إياه.

الشيطان وأتباعه :

ويتحدث الشاعر الفذُّ عن الشيطان وأتباعه وكيف يقتادهم إلى أبواب جهنم وبئس المصير، وكيف أن الشاعر الملهم يرتاع من صحبة هؤلاء الرعاع جند إبليس وأتباعه . ويهاجم بشدة أولئك الذين اتهموا حافظًا فى دينه وتقواه وكيف لفقّوا له التهم واعتبروا قصائده أو بعضًا منها لا تتفق والقرآن الكريم . والشاعر يدافع بحرارة عن حافظ الذي أعجب به أيما إعجاب . واستمع إليه فى قصيدة (شكوى) وهو يتحدث عن أعداء حافظ أتباع الشيطان .

أتدري لمن يقوم الشيطان بالمرصاد
فى الفيافى بين الصخور والأسوار
وكيف يجيل فيهم النظرات الحداد
مقتادا لهم إلى أبواب النار
إن هؤلاء هم الكذّابون الأشرار
والشاعر ، لماذا إذن لا يرتاع
من الدخول فى زمرة هؤلاء الرعاع
فهل يعرف إذن من يرافق ويصاحب
هذا الذي لا يعمل إلا فى حالٍ من الجنون غالب
سيهيم على وجهه فى القفار والبيد
لا يحدوه غير حبّ عنيد
وأغانيه الشاكية المسطورة فى الرمال
ستجعلها الريح أبدًا فى ترحال
والناس سيتركون قصيدهُ يذهب حيث شاء
لأنها لا تتفق والقرآن
فعلّموا الناس إذن أيها الراسخون فى العلم
والمتدثرون بدثار الحكمة
علموا المسلمين المخلصين واجبهم المتين

فتوى فارسية :

وفى قصيدة أخرى بعنوان «**فتوى فارسية**» وفى القصيدة التالية لها «**الألماني يشكر**» يتعرض جوته لفتوى أصدرها مفتي الإسلام فى

الدولة العثمانية الشيخ أبو السعود أفندي المتوفى سنة ٩٨٢هـ / ١٥٧٤م، الذي كان يتولى الإفتاء فى عهد السلطان سليمان القانوني العظيم والسلطان سليم الثاني. وقد سئل المفتي عن شعر حافظ وما رأي شيخ الإسلام فيه؟ فقال ما معناه : «فى الديوان كثير مما هو خير ومقبول ولكن فيه أيضًا الكثير مما هو قابل للطعن والتجريح، وعلى كل واحد أن يميز بين الطيب والخبيث».

يقول جوته:

أغاني حافظ تسلك إلى الحق السبيل القويم
وإن جارت حينًا قليلاً عن النطاق المرسوم
فإن شئت السير مأمون النهج والمساق
فاعرف كيف تفرّق بين سم الأفعى والترياق
ولكن أسمى أفعال الرغبة الطاهرة
أن تذر نفسك مسرور المزاج
وتتنكب سبيل من لا ينشدون غير الأحزان
نعم! أهجرهم فى حكمة غير متوان
فهذا خير ما يجعلك لا تفقد الأحسن
سطرت هذا يراعة الفقير أبي السعود
غفر الله له كل ألوان الذنوب.

ونحن نرى براعة جوته فى إظهار هذه الفتوى وأن على الإنسان أن يفرّق بين سمِّ الأفعى والترياق (رغم محبته القصوى لحافظ) .. ثم يختمها بطريقة المفتين وتوقيع الفقير غفر الله له كل ألوان الذنوب.

وفى القصيدة التالية «الألماني يشكر» مدح لأبي السعود لأنه ردّ فتوى رئيس العلماء الذي أفتى بعدم قراءة ديوان حافظ ، فقال أبو السعود: وقعت فى مقالات حافظ فى مواضع كثيرة كلمات حق من حكم واثقة ونكت فائقة ، ولكنها تحمل فى تضاعيفها جزافات خارجة عن نطاق الشريعة الشريفة. والذوق الصحيح هو فى تمييز بيت من بيت، وعدم حسبان السم الزعاف ترياقًا ، وفى تحصيل مبادئ ذوق النعمة والاحتراز من أسباب الخوف الأليم (أي عذاب السعير) كتبه الفقير أبو السعود عُفِي عنه.

يقول جوته مجيبًا الشيخ أبا السعود :

أبا السعود ، أيها الولي الطاهر
لقد أصبت شاكلة الصواب
إن الشاعر فى لهفة إلى أمثال
هؤلاء الأولياء الأنجاب
فهذه الشطحات الخارجة عن نطاق الشريعة
هي عينها التراث الذي يخلفه الشاعر
حين يفيض وهو مسرور ، حتى فى مواكب الأحزان
ولا مناص من أن يقدم هذا وذاك
سمّ الأفاعي والترياق
والأول لن يقتل والثاني لن يشفي
لأن الحياة الحقة هي البراءة الخالدة للفعل
تلك التي تبدو وكأنها لا تضر شيئًا أكثر مما تضرُّ نفسها
وهكذا يستطيع الشاعر القديم أن يتملّي برجاء
أن تحسن الحوريات فى الجنة استقباله كفتى مستتير
أبا السعود أيها الولى . لقد أصبت شاكلة الصواب

وهكذا يؤكد جوته على صواب فتوى أبي السعود ولكنه يعتذر لصاحبه حافظ بأنه شاعر: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ۝ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ۝ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء ٢٢٤- ٢٢٧].

ويقول جوته: إن هذا السم الذي فى شعر حافظ لن يقتل كما أن الترياق فيه لن يشفي وإنما هو فيض عاطفة من شاعر رقيق القلب يحب الحياة، ويرجو له فى الآخرة الفوز بالجنان، وأن تحسن الحوريات استقباله لطهارة قلبه وصدق نيته.

ويؤكد ذلك جوته فى قصيدة أخرى عن فتوى أصدرها القاضي الجليل عن شاعر تركي يُدعى المصري، وقد اتُّهِم بأنه قليل الدين بسبب ما أورده فى أشعاره، فقال المفتي: «إن معاني هذه العقائد لا يعلمها إلا الله والمصري» لأن فيها غموضًا ولأن قائلها شاعر استولى عليه الوجد والهيام. ورغم أن المفتي أحرق تلك القصائد بعد أن قرأها قال:

وليستثن هو وحده من عذاب النار
لأن الله قد منح كل شاعر هبة الأشعار
فإن أساء استخدامها إبان خطاياه
فعليه أن يعني بإرضاء الله

وكلام المصري من نوع كلام الاتحاد ووحدة الوجود مع غموض وإبهام وإمكانية التأويل .. ويتحدث جوته فى أكثر من قصيدة بحبه وإعجابه بحافظ، ويقول:

رجائي أن أشارك فى مذهبك الشعري

إن فى التكرار لنفسي لذة وانتشار

كذلك احترق بلهيبك الخالد

قلب الماني قد أشعّت القوة من جديد

ويقول فى قصيدة أخرى لحافظ :

أنت ينبوع السرور الحقيقي بين الشعراء

والأمواج تجري منك أمواجًا تلو أمواج

أنت نشيد من الصدر الجميل

أنت غديرٌ ساحرُ السقيا

أنت قلب يفيض بالمنح العليا

وليفن العالم كله ، إي حافظ

فإني لا أريد أن أنافس غيرك

غيرك أنت وحدك

فلنتقاسم سويًا نحن التوأمين

كل إيلام وسرور

فما تحبه أنت وما تحتسبه

يجب أن يكون مفخرتي ، بل حياتي

فهيا الآن غنينا بنار الوجد المشبوب

لأنك الأقدم ، ولأنك الأحدث.

ويستمر مع حافظ فى ديوانه قصيدة بعد قصيدة وهو يتحدث عنه بإعجاب وانبهار ويقول له: «إنهم قد لقبوك إي حافظ الأقدس، اللسان

الصوفى، ولكنهم وهم العلماء لم يفهموا قيمة كلماتك. ويرى جوته أن حافظًا كان يستمتع بالحياة والحب والعواطف المشبوبة والشراب، بينما يرى جميع الشارحين لدواوينه من الفرس أنه شعر صوفى يرمز بالحب إلى حبِّ الإله، وأن الشراب هو شراب الجنة أو شراب المحبّين حتى لقبوه بأنه لسان الغيب». وجوته لا يقرُّهم على ذلك، ويرى أنه جمع بين الاثنين . ويتحدث إلى حافظ قائلاً له إنه يعرف الحكمة والقول الحسن، وتغني اليوم وتغني غدا.

فلتحملنا صحبتك إذن فى إخاء

خلال الحياة بما فيها من نعيم وأعباء

عشق نامه :

ويقول لحافظ فى كتاب العشق (عشق نامه) :

لذّ لي التصفيد فى قيد الغدائر

فجري ، حافظ ، لي ما قد جرى لك

ضفّروا من شعرها زوج الضفائر

فعرفنا بينها عذب المعارك

إنما العاقل من لا يؤسر

فإذا خاف قيودًا تكسر

كان يسري فى قياد ، يحصر

ويطلب من الهدهد أن يكون رسولاً إلي حبيبته كما كان رسول سليمان إلى بلقيس (وقصة الهدهد لم ترد إلا فى القرآن الكريم، وليس لها ذكر فى أسفار العهد القديم ولا كتب بني إسرائيل).

يقول جوته :

قلت : يا هدهد ويكَ

طائر للحسن أحكى

فسراعًا اذهبنْ

لحبيبي وأعلننْ

كلَّ حبّي أبدًا

وغرامي المخلدا

كن رسولي بالنبأ

مثلما فى الحقبِ

بين بلقيس سبأ

وسليمان النبي

والكتاب المقدس (العهد القديم والعهد الجديد) لا يعتبر أن سليمان نبي، بل هو عندهم ملك، وكذلك داود عليه السلام هو ملك وليس نبيًا.

كتاب التفكير (تفكير نامه) :

وفى كتاب التفكير (تفكير نامه) يحاكي حافظًا فى قوله :

اسمع النصح من القيثار يسدي ليس يجدي النصح إلا إن كنت أهلاً

فيقول فى قصيدته خمسة أشياء:

خمسة أشياء لا تلد خمسًا

فارع سمعك لهذا المذهبْ

القلب الصفيق لا ينبت الصديقْ

وأبناء الوضاعة سوء الأدب عندهم بضاعة

لا يبلغ السوء مهما علا أي عُلا

والحسود لا يرحم المفقود

والكاذب الميَّان ينشد عبثًا الأيمان (فالكاذب يكثر من الحلف ليصدقه الناس ولكنهم يعرفونه ولا يصدقونه)

احفظ هذا عني ولا تدع أحدًا يسلبك إياه

وخمسة أخرى :

أي شي يقصر الزمان؟ إنه العمل

وأي شيء يجعله غير محتمل ؟ إنها البطالة

أي شيء يجلب الخطايا ؟ عدم المثابرة والتساهل

أي شيء يأتي بالكسب؟ عدم التردد والتفكير الطويل

أي شيء يرتفع بك إلى صدر الشرف ؟ النخوة والمروءة.

وفى التحية يقول مستلهمًا قوله تعالى:

﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴾ [النساء :٨٨].

وأول التحية	ذو قيمة سنية
فبادل التحية	من يبدأ التحية

ويتحدث عن نفسه أنه جاهدها ليكون مهذبًا ، فتعب من ذلك فى الحياة، فحاول أن يكون لئيمًا وثعلبًا ، فلم تطقه نفسه، فعاد إلى سجيتها وطبيعتها الخيرة واختار أن يكون مهذبًا. يقول :

سعيتُ، هباء، أن أكون مهذبًا

فأمضيت من عمري السنين معذَّبًا

تهذبت، لكن ما تهذبت مشربًا

فحاولت أن أكون لئيمًا وثعلبًا

ولكن نفسي لم تطق ذاك مطلبًا

فقلت لها : الأولى بقائي مهذبًا

فذلك أبقى، رغم أنه كان أصعبا

وفى قصيدته حذار من النسوان يتحدث عن المرأة أن الله خلقها من ضلع أعوج كما فى الحديث النبوي : «إن المرأة خلقت من ضلع أعوج فإن أردت أن تقيمها كسرتها وكسرها طلاقها، وإن استمتعت بها استمتعت بها على ما بها من عوج» ، وقد قرأ جيته هذا الحديث مترجماً فى «كنوز الشرق» كما قرأ الحديث الآخر : «استوصوا بالنساء خيرًا...» .

قصيدة النبي :

وفى قصيدة النبي يستلهم قوله تعالى:

﴿ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴾[الحج:١٥].

إذا اغتاظ أحد من أن الله

شاء أن يهب محمدًا الأمن والسعادة

فليربط حبلاً متينًا بأقوى الأعمدة

فى قاعة بيته

وليشنق نفسه به فهذا مفيد له

إذ سيشعر حينذاك بأن غيظه سيذهب عنه

القدر عند جوته متأثرًا بحافظ وشعراء الإسلام :

وفى قصيدة أخرى يستلهم قول حافظ : إن أمهلك القدر ، فلا تهمل الطريق ، ولا تسأل لِمَ وكيف، بل كن كالعبد المطيع، يعمل كل ما يأمر به السلطان. وهو غاية الاستسلام لله سبحانه وتعالى. يقول جوته:

إذا امتحنك القدر

فهو يعلم جيدًا لماذا

إنه يريد منك القصد

والاعتدال فأطع واسكت

وفى قصيدة أخرى يتأثر بالفردوسي فى «الشاهنامة» حيث يقول : «ماذا تريد أن تصنع بالدنيا؟ لقد تمَّ صنعها . وربُّ الخلق وفَّرَ كل شيء. ورزقك مقسوم فماذا يفيدك أي شيء آخر ؟ كما هو مكتوب ستتم رحلتك . ومتى دخل قلبك فى قصر الهموم، هاجمك السمُّ ورحل عنك النوم بغير مهادنة».

ونجد هذه العقيدة منتشرة لدي الشعراء الإسلاميين، كما نجدها بصورة خاصة عند الصوفية، ولكنها ليست مقتصرة عليهم ، فالخير والشر من الله تعالى، والقدر فعله سبحانه. وعليك بالرضا بمرِّ القضاء، فإن لم تستطع فعليك بالصبر وإن كان مُرًّا ولكن عاقبته كالشهد والضرب (نوع من العسل) .

وسنأخذ مثالاً واحدًا من ديوان الحبيب عبد الله الحداد الذي يقول فيه :

روّح فـؤادك مـن هـمٍّ ومن حزنِ فإنـه تـعـب للـروح والـبـدنِ
وارجع إلى الله فى السراء والمحنِ رجوع مفتقر مضطر ومنكسرِ
واسأل من الله كشف البؤس والضرر

كم شدة ضاق منها الصدر والنادي تخـوّف القـلبُ من شرّها العادي
أمست فما أصبحت حتى بدا بـادي من لطف ربك لم يبـقِ ولـم يـذرِ
واسأل من الله كشف البؤس والضررِ

وللنوائب والأكدار أوقـــاتُ إذا انـقضت تنقضي منها إقاماتُ
وفى التحرّك قبل الوقت آفاتُ فاسكن لها وارتقب يا قلب وانتظرِ
واسأل من الله كشف البؤس والضرر

وإن قولك لِم هذا وكيفَ وهلْ مـنك اعتراضٌ على الرحمن عزَّ وجل
قل قدَّر الله ما شاء الإله فـعل إذا غُلـبت كمـا قد صح فى الخبر
واسأل من الله كشف البؤس والضرر

قل حسبي الله ذو العرش الذي يـعلمْ بالســر والجهر واستســلم له تسلمْ
ولا تـقل لـو كـذا كـان كـذا تندمْ وارضَ بمرِّ القضاء تنجو من الخطرِ
واسأل من الله كشف البؤس والضرر

إلى آخرالقصيدة الطويلة الجميلة المليئة بالإيمان والاستسلام لقضاء الله مع الأخذ بالأسباب التي أمر الشارع بالأخذ بها .

وفى قصيدة أخرى يقول الحبيب عبد الله الحداد :

خذ ما صفا ودع الكدرْ	وكلِ الأمــــور إلى القــدرْ
مهـما غُـلـبت كـما أمرْ	هـادي الورى خير البشـــــرْ
إن الأمور جــرى بهــــا	قلمٌ علــى اللــوح الأغـــــرْ
فى سابق العلـم القديـم	مــن قبل إيجــاد الصــــورْ
ودع الـهمـوم فــإنـهـــا	يا صاحبى محـضُ الضــررْ
واغنم زمانك واستــــرح	من لَوْ و لـم تلـقَ الظـفــرْ
وارجــــــع إلى الله إذا	مــا لـحَّ خـطـــبٌ أو عَـسَرْ
وإذا بُليــت بمحنــــــة	فاصبــر لهــا فيمـن صـبــرْ
وإذا خُصصـــت بنعمــة	فاشكرْ مع منْ قد شكــرْ
لله رب العـالـميـــــــن	تعط المزيدَ كما ذكـــــرْ

وهو يذكرنا بقوله ﷺ : «عجبًا لأمر المؤمن إنَّ أمره كله خير..».

ولا يعني الرضا بالقدر عدم الأخذ بالأسباب فى عالم الأسباب، فنحن مأمورون بالأخذ بها، مع اطمئنان القلب ومعرفته أن الأمور كلها بيد الله سبحانه وتعالى يصرّفها كيفما شاء. وقد أخذ رسول الله ﷺ بالأسباب فى كل أموره وأعدّ لكل حادثة عِدَّتها ، ومع ذلك فهو فى قمة التوكل والاعتماد على الله سبحانه وتعالى. ففى الهجرة أخفى أمره ورتب مع أبي بكر الصديق وسائل التعمية على قريش واختفى فى غار ثور ثلاثة أيام. فلما وصل رصد قريش إلى الغار فزع أبو بكر وقال: لو نظر أحدهم إلى تحت قدميه لرآنا فقال له الرسول الأكرم صلوات ربي وسلامه عليه: ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما . وكان فى منتهى السكينة بعدما أخذ بالأسباب، ثم أعدَّ

الراحلتين واتفق مع عبد الله ابن أبي أريقط من بني الديل، وكان مشركًا ، ليكون دليلهم على الطريق فقد كان خرّيتا خبيرًا بها. وهكذا الأخذ بالأسباب لا يناقض الاستسلام لقدر الله. وإنما تمنع لِمَ ولو وكيف .؟ والشعور بالحزن والندم التي لا فائدة منها..

ويقول جوته :

ماذا تريد أن تغير فى العالم ؟ لقد تم صنعه

ورب الخلق قد دبرَّ كل شيء

وتحدَّد نصيبك، فاتبع الطريق المرسوم

لقد بدأت الطريق فأتم الرحلة

فالهموم والغموم لن تغيِّر من الأمر شيئًا

كل ما هناك أنها ستلقي بك خارج الاتزان

وهي قصيدة عجيبة تؤمن بالله وقدره وتملأ المؤمن اطمئنانًا ، فأمره كله إلى خير، كما جاء فى الحديث، إن أصابته سرَّاء شكر وإن أصابته ضراء صبر. وهو مناف للعقلية الغربية المادية التي تلهث وراء الماديات فإن فقد المرء شيئًا منها أو فشل فى إدراكها انتابته الغموم والهموم ولجأ إلى المسكنات والعقاقير أو إلى الخمور ، فإذا لم تجد فتيلاً ، وهي لن تجدي، فالانتحار هو نهاية المطاف.

الاهتمام بالوقت فالوقت هو العمر :

ويدعو جوته إلى الاهتمام بالوقت والزمان وينبّه إلى عدم إضاعة الأوقات متأثرًا بقول فارسي (من كتاب تاريخ بلاغة الفرس لفون همر) : «اللغة والزمان الذي أعيش هما لغتي وزماني.. إني أعزو إلى الزمان والمكان الفهم والعقل، ولا يمكن أن يكون الأمر كذلك ،

فالزمان ملكي». ويقصد أن عليَّ أن أستفيد من الزمان والمكان ولا أتعلّل بعدم العمل بالزمان والمكان .

يقول جوته :

ما أروع ميراثي وما أوسعه وأوفره
فالزمان صنعتي والزمان حقلي

وهو بالفعل كذلك قد جعله الله لنا لكي نعمل فيه فينظر كيف نعمل .. ومن أضاع زمانه فقد أضاع حياته وعمره وسيندم على كل لحظة أمضاها فى البطالة يوم لا ساعة مندم.

ويتحدث جوته عن عمل الخير وأن يكون خالصًا لله لا لغرض دنيوي فإن لم يستفد من عمل الخير هذا أولادك فسيصل إلي أحفادك ويستفيدون منه وهو فى ذلك يستلهم قصة الخضر التي جاءت فى سورة الكهف حين رأى جدارًا يريد أن ينقض فأقامه ، فى قرية شديدة الأثرة والبخل، وقد رفضوا أن يضيّفوهما ، هو وموسى عليهما السلام، فاستغرب ذلك موسى ، ولكن الخضر أوضح له بعد ذلك أن تحته كنزًا لأطفال صغار أيتام، وأنه لو انهار الجدار لاستولى عليه الكبار ولحرموا الأطفال من كنزهم، فحافظ على الجدار وأقامه حتى يبلغا أشدَّهما ويستخرجا كنزهما. وذلك كله ببركة أعمال أبيهم الصالح. قال أهل التفسير: كان جدهما السابع. قال تعالى:

﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا الْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا

ﭐلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ وَكَانَ تَحۡتَهُۥ كَنزٞ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا (٨٢) ﴾

[الكهف : ٧٧- ٨٢].

افعل الخير من أجل الخير :

يقول جوته:

افعل الخير من أجل الخير فحسب

وسلّمه إلى دمك

فإن لم يبق لأولادك

فيستفيد منه أحفادك

قصائد أخرى :

وفى قصيدة أخرى يقول جوته:

يقول أنوري[1] :

وهو رجل عظيم بين الناس

يعرف خفايا القلب وقمة الفكر

فى كل زمان ومكان تفيدك الاستقامة

وسداد الرأي والاحتمال

وفى قصيدة أخرى أن الأقزام صاروا ملوكًا وأن السفلة صاروا القادة ، وهو أمر يستدعي التوبة والدعاء من الله لكي يرفع غضبه ومقته.

(١) أنوري: شاعر فارسي مجيد من صف حافظ الشيرازي.

اللهم ارفع غضبك عنا
إن أقزام الملوك صارت لهم الكلمة
«اللهم ولي علينا خيارنا ولا تولي علينا شرارنا»
الحسد :
وفى قصيدة أخرى يقول:
إذا أراد الحسدُ أن يمزّق نفسه
فدعه يشبع نهمه
ولا شك أن الحسد لا يعود إلا بالشرٍّ على صاحبه.

ويتحدث جوته عن رجال الدين المسيحي الذين وقفوا ضده ووقف ضدهم منذ فترة شبابه الأولى، وهاجمهم وهاجموه لأنه خرج عن خزعبلاتهم وترهاتهم وفضح حقارتهم . يقول جوته :

رجال الدين:
ماذا يفيد رجال الدين
أن يسدُّوا على الطريق
ما لا يمكن أن يدرك على استقامة
لا يمكن أن يعرف على التواء وميل
استعينوا بالكتمان:

ويتمثل ما روي عن النبي ﷺ : «استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان» فيقول جوته :

إذا أردت ألا تنهب نهبًا شائنًا
فاكتم ذهبك وسفرك وإيمانك

فإذا أردت السفر فاحذر قُطاع الطريق واكتم سفرك، وإذا أردت أن تحافظ على إيمانك فلا تتحدث عنه أمام هؤلاء الحاقدين على الإسلام والقرآن والنبي محمد ﷺ فإنهم سيضعون العقبات فى طريقك وسيحاولون بكل وسيلة أن يضلّوك ويخرجوك عن طريقك ويبعدوك عن سواء السبيل.

دع المجادلة والزم الصمت :

ويقول جوته :

لا تدع نفسك أبدًا

تنساق إلى المجادلة والمناقضة

فالعقلاء يقعون فى الجهل

إذا جادلوا الجهال

وهو أمر حث عليه القرآن وتعاليم النبي ﷺ وأكد عليه الحكماء والعقلاء فلله درك يا جوته . ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ ويقول جوته :

من يلزم الصمت لا يهاب إلا قليلاً

فالمرء مخبوء تحت لسانه.

وهذا القول مشهور لدى العرب «وإنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه». «وهل يكب الناس على مناخرهم فى جهنم إلا حصائد ألسنتهم». وآفات اللسان كثيرة وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يمسك لسانه ويشير إليه، ويقول: «هذا الذي أوردني الموارد» وفى الحديث «من يضمن لي ما بين لحييه وما بين فخذيه أضمن له الجنة» . والخلاصة أن التراث الإسلامي ملىء بذم التعجل فى الكلام . وفى المثل : «إذا كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب» .

الإسلام هو الاستسلام لله:

وفى قصيدة أخرى يقول:

من الجنون أن يفرض كل إنسان

في كل حالة رأيه ، ويمجده

إذا كان الإسلام معناه التسليم لله

فعلى الإسلام نحيا ونموت جميعًا

وها هنا نرى جوته يُقرِّع الإنسان المغرور الذي يعتقد أن رأيه فقط هو الصواب ولا يستمع لغيره بل ويمجّد رأيه ولا يريد أن يستسلم لله ، والاستسلام لله هو لبُّ الإيمان، والإسلام هو التسليم لله، فعلى الإسلام نحيا ونموت جميعًا .

ويتحدث جوته عن ديوانه «الديوان الشرقي» ويسميه بيتًا ويطلب من الله سبحانه وتعالى أن يرضي عن هذا الديوان (هذا البيت الصغير) الذي توجه فيه لله وللإسلام .

رب ارضَ عن هذا البيت الصغير

يمكن بناء ما هو أكبر ، لكن لن ينتج عن ذلك شيء أكثر

والأمر ليس بكبر الحجم فالتقوى فى القلب ، والتقوى هي التي تصنع المعبد وليس المعبد هو الذي يصنع التقوى.

ويقول فى قصيدة: إن الخطأ من طبيعة البشر، وأن المهم هو أن يعرف الإنسان خطأه ويعزم ألا يعود إليه، فالله هو الغفور الرحيم، وهو التواب الذي يفرح بتوبة العبد بأشد مما يفرح الإنسان الذي فقد راحلته وعليها متاعه وأكله وشرابه فى وسط الصحراء ثم نام ليموت بعد أن يأس من العثور عليها فأفاق وإذا دابته وعليها متاعه وأكله وشرابه أمامه واقفة لا تريم.

النفوس المطمئنة :

لا تحزني أيتها النفوس المطمئنة

لأن من لا يخطئ يعرف متى يخطئ الآخرون

لكن من يخطئ فى وضع أحسن

إنه يعرف بوضوح ما فعلوا من خير

لأن من يزعم أنه لم يخطئ يرى عيوب الآخرين ويفتش عنها ويزعم لنفسه الصوابية، أما من أخطأ فهو أكثر تواضعًا، ويعرف ما فعلوا من خير، بدلاً أن يبحث عن نقائصهم.

ويرى جوته وجوب شكر من أحسن إليك لأن من لا يشكر الناس لا يشكر الله . يقول جوته :

أنت لم تشكر كفاء ما قُدِّمَ لك من خير

لم ينلني مرض بهذا السبب فصنائعهم تحيا فى قلبي

ويقول فريد الدين العطار فى «بند نامه» :

ينبوع السعادة أمران حسن السمعة وسلامة التمييز

وكل من يريد غير هذين يضلُّ ويهلك

ونقلها جوته قائلاً :

اظفر بحسن السمعة وميّز جيدًا بين الأمور

ومن يرد أن يفعل أكثر من ذلك يضيع

وكلام فريد الدين العطار أجمل وأدق ، وإن كان جوته لم يبعد عما قاله العطار، وقوله:

ومن يرد أن يفعل أكثر من ذلك

(أي أكثر من حسن السمعة وسلامة التمييز) يضل ويضيع .

جوته وخلق القرآن :

يشير جوته إلى قضية خلق القرآن التي ثارت بين المسلمين فى العصر العباسي منذ عهد المأمون العباسي وازدادت شرًا فى عهد المعتصم حتى حبس الإمام أحمد بن حنبل وعُذِّب ووقف وقفته المشهورة المحمودة، وهو يرفض قول المعتزلة الذين أصرّوا على أن القرآن مخلوق.

وقد أحسن جوته عندما رأى أنها قضية فلسفية كلامية لا داعي لها أصلاً ، يقول جوته:

هل القرآن قديم

هذا أمر لا أسأل عنه

هل القرآن مخلوق

لست أدري

أما إنه كتاب الكتب

فهذا ما أؤمن به كما هو فرض على كل مسلم

وكم سببت هذه القضية الفلسفية من مآسٍ فى تاريخ المسلمين. وقد تعصَّب المعتزلة أشد التعصب لآرائهم وسموا أنفسهم «أهل العدل والتوحيد» . ولم يكتفوا بذلك عندما كان الخلفاء فى صفّهم، بل قاموا بالتضييق على مخالفيهم، حتى وصل الأمر إلى تعذيبهم، كما فعلوا مع الإمام أحمد ، فلما انتهت دولتهم بعودة المتوكل إلى صف أهل السنة ، انقلب الوضع وأصبحوا هم المضطهدين .. وللأسف أدى ذلك النزاع إلى انحسار الدعوة إلى الإسلام، ولم يعملوا على هداية الآخرين كما هو واجبهم.

ولكن جوته أحسن فى الإعراض عن هذه القضية الشائكة، وأعلن أنه لا يحتاج لذلك. فهو يؤمن بالقرآن كتابًا منزلاً من الله سبحانه وتعالى، وهو كتاب الكتب والمهيمن على جميع ما جاء قبله من الكتب التي بُدِّلت وحرفت، ولم يبق فيها من الهدي والنور إلا القليل المغطي بركام من العقائد الفاسدة والأقاصيص التي تتهم الأنبياء عليهم السلام بكل مذمة ونقيصه، فنوح عليه السلام شرب الخمر وسكر حتى تعرى - حسب زعمهم- وإبراهيم عليه السلام تزوج أخته من أبيه سارة وكان يقدمها - حسب زعمهم الكاذب- للملوك حتى يكسب أموالاً . ولوطًا زنا بابنتيه وهو سكران وأنجب منهما ـ حسب زعمهم الكاذب - وإسحاق قدم زوجته رفقة لملك الفلسطينيين (أبي مالك وهو لقب لكل ملك فلسطيني كما تزعم أسفار العهد القديم وتكتب أبيما لك) ويعقوب أخذ العهد والبركة من أبيه بدلاً من الأخ الأكبر البكر (عيصو أو العيص كما تسميه العرب) وذلك بخداع وكذب. وتصوره التوراة بأنه مخادع وكاذب، خدع خاله لابان، وسرق أمواله وأغنامه، وسرق تمثالاً من الذهب لخاله وخبأته زوجته، ثم حلف بالآلهة الوثنية أنه لم يفعل ذلك. وراوبين بن يعقوب زنى بحليلة والده، ويهوذا بن يعقوب زنى بكنته (زوجة ابنه) وهي تامار، وداود زنى بحليلة جاره، ودبَّر مؤامرة قذرة لقتله، وموسى عصي الله ورفض الذهاب إلى فرعون خوفًا منه. وهارون صنع لبني إسرائيل العجل وأمرهم بعبادته وسليمان - حسب زعمهم الكاذب- عبد الأوثان وأقام المعابد الوثنية لزوجاته وسراريه الألف . وهكذا لم يتركوا نبيًا ولا رسولاً إلا كذّبوه ووصموه بأقذع الصفات . بل سبّوا رب العالمين وادعوا أنه قد أسره الفلسطينيون لسبع سنوات . وأنه كان يسير معهم فى التيه كسحابة فى النهار وعمود من نور فى الليل . ومع ذلك ظلَّ أربعين سنة دون أن يهديهم سواء السبيل .

وهكذا اعترف جوته بأن القرآن العظيم هو أعظم الكتب السماوية، وهو الوحيد المحفوظ بكامله دون تحريف ولا إضافة ولا نقص ولا تزييف. قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾.

القرآن كتاب الكتب :

وجوته يعلن على الملأ أنه يؤمن بالقرآن العظيم كتابًا منزلاً من عند الله جاء به النبي محمد ﷺ تمامًا كما هو فرض على كل مسلم.

أما إنه كتاب الكتب

فهذا ما أؤمن به ، كما هو فرض على كل مسلم.

وقد أحسن جوته فى كل ذلك . وأراح دماغه من قضية خلق القرآن فهي قضية شغلت المسلمين لقرون ، وكان بوسعهم أن يفعلوا كما فعل جيل الصحابة والتابعين وتابعي التابعين وهم خير القرون كما فى الحديث : «خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم» . ولم تثر هذه المسألة إلا فى بداية القرن الثالث الهجري ، فى عهد المأمون ، عند انشغال المفكرين بالفلسفة اليونانية والدخول فى المعارك الكلامية التي لا فائدة منها.

سجن الروح:

ومقارنة بقصيدة ابن سينا : وقصيدة عبد الله الحداد:

ويتحدث جوته عن «سجن الروح» فيقول:

أنت تعلم أن الجسم سجن
حبست فيه الروح بالخديعة
ولا تستطيع أن تمدَّ ذراعيها فيه بحرية
ولما كانت تريد أن تنجو من هنا وهناك
فقد قيد السجن نفسه بالأغلال
وهكذا الروح المسكينة فى حظر مزدوج
ولهذا تتصرف أحيانًا تصرفات غريبة

ثم يقول:

إن كان الجسم سجنًا

فلماذا هذا السجن شديد العطش ؟

إن الروح ترتاح فيه

وتود لو تبقى راضية هادئة

وفى هذه القصيدة يتخذ جوته موقف كثير من المسلمين فى أن الروح التي شرَّفها الله قد دخلت إلى الجسد مكرهة، ثم ألفت هذا الجسد وستخرج منه مكرهة. وقد أورد ابن إسحاق الثعلبي فى العرائس قصة دخول الروح الجسد، وفيه : «فلما أراد الله أن ينفخ آدم عليه السلام والروح، أمرها أن تدخل فى فيه. فقالت الروح : مدخل بعيد القعر، مظلم المدخل ، فقال للروح ثانية، فقالت مثل ذلك، وكذلك ثالثة، إلى أن قال فى الرابعة: ادخلي كرهًا واخرجي كرهًا. فلما أمرها الله تعالى بذلك دخلت فى فيه، فأول ما نفخ فيه دخلت من دماغه فاستدارت فيه مقدار مائتي عام ثم نزلت فى عينيه .. ثم نزلت فى خياشيمه ، فعطس، وحين فراغه من عطاسه، نزلت الروح إلي فيه ولسانه فحمد الله» .

ونجد صدى هذه القصة فى قصيدة مشهورة لابن سينا (أشهر أطباء المسلمين وأحد الفلاسفة) حيث يقول فى قصيدته العينية التي عارضها كثير من الشعراء .

هبطت إليك من المحل الأرفع ورقاء ذات تعزُّز وتمنُّع

محجوبة عن كل مقلة ناظر وهي التي سفرت ولم تتبرقع

وصلت على كره إليك وربما كرهت فراقك وهي ذات تفجع

وهو كلام متفق مع ما جاء فى كتاب العرائس للثعلبي الذي ذكرناه آنفًا فى أن الروح كانت فى الأماكن العلوية الشريفة فى الملأ الأعلى تجتلي من الذات الإلهية العلية فتنعم بذلك أيما نعيم، ثم أمرت بالهبوط والدخول فى ذلك الجسد على كره منها.. ثم أنها ستخرج كارهة من ذلك الجسد بعد زمن يقدّره الله لكل شخص. وأمرها عجب حيث دخلت كارهة ثم أنها تفارق الجسد كارهة. يقول ابن سينا شارحًا ذلك :

أنفت وما أنست فلما واصلت ... ألفت مجاورة الخراب البلقع

أي أن هذه النفس (الروح) أنفت وأبت الدخول فى الجسد ولم تأنس به، ولكنها بعد أن استقرّت فى هذا الجسد المعرّض للخراب والهلاك ألفته واعتادته ونسيت عهودها المنيفة السابقة.

وأظنها نسيت عهودًا بالحمى ... ومنازلاً بفراقها لم تقنع

حتى إذا اتصلت بهاء هبوطها ... فى ميم مركزها بذات الأجرع

علقت بها ثاء الثقيل فأصبحت ... بين المعالم والطلول الخضّع

تبكي إذا ذكرت ديارًا بالحمى ... بمدامع تهمي ولما تُقطع

وتظلُّ ساجعة على الدّمن التي ... درست بتكرار الرياح الأربع

إذ عاقها الشَّرك الكثيف وصـ ... ـدها قفص عن الأوج الفسيح الأريع

حتى إذا قرب المسير إلى الحمى ... ودنا الرحيل إلى الفضاء الأوسع

سجعت وقد كشف الغطاء فأبصـ ... ـرت ما ليس يدرك بالعيون الهُجَّع

وغدت مفارقة لكل مُخلَّفٍ ... عنها حليف الترب غير مشيع

وبدت تغرِّد فوق ذروة شاهق سام ... إلى قصر الحضيض الأوضع

إن كـــان أرسلهـــا الإله لحكمة	طويت عــن الفطــن اللـبـيــب الأروع
فهبوطهــا إن كـــان ضــربــة لازب	لتكـــون ســامعــة بمـــا لـــم تسمــع
وتــــعـــود عـالـمـة بـكـل خفيّـة	فى العالميـن، فخرقها لم يرقـــع
وهي التي قطع الزمان طريقهـــا	حتى لـقــد غــربــت بـغيــر المطلــع
فكـــأنـــه بــرق تــألــق للحمــى	ثــم انـطــوى فـكـأنــه لــم يلمــع

وخلاصة هذه الأبيات هي أن الروح بعد أن دخلت الجسد مكرهة ألفت ذلك الجسد وتعودت الدِّمن، وغطت عليها نوازع وشهوات البدن حتى كرهت مغادرة ذلك الجسد. ولكنها عند مفارقة الجسد تدرك المعاني الرفيعة وينقشع عن العين غبشها ﴿لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق:٢٢] عند ذاك ترتاح النفس (الروح) لاتصالها بالعالم العلوي.. ويتساءل ابن سينا عن الحكمة فى هبوط النفس (الروح) من مكانها العلوي إلى ذلك البدن السفلي، فيقرر أن هبوطها كان أمرًا لازمًا أوجبه الخالق الحكيم لكي تدرك النفس من عظمته ما لم تكن تدركه، وتشاهد عالم الملك كما شاهدت من قبل عالم الملكوت وتعرف عالم الشهادة كما عرفت من قبل عالم الغيب، فما رحلتها فى البدن وخروجها منه إلا كبرق خاطف تألق فى السماء ثم خبا.

والقصيدة رغم شهرتها لها عيوب شعرية ، مثل قوله:

علقت بها ثاء الثقيل

وكذلك قوله:

إذا اتصلت بهاء هبوطها فى ميم مركزها بذات الأجرع

وهي ألفاظ ثقيله فلسفية غير لغة الشعر الرقيقة .

وقد جاءت قصيدة جوته على نسق ما تعوده الشعراء الإسلاميون فى وصفهم للروح وكيف دخلت مكرهة حتى إذا ألفت هذا الجسد أمرت بالخروج منه مكرهه :

إن كان الجسم سجنًا فلماذا هذا السجن شديد العطش
إن الروح ترتاح فيه وتود لو تبقى راضية هادئة

ولكنها لا تبقى فيه بل تؤمر بالخروج منه فى الوقت الذي يحدده الله لكل نفس.. وخروجها ومفارقتها الجسد هو الموت . ولكن الروح باقية إن عملت خيرًا فخير، وإن شرًا فشر .

وفى قصيدة للحبيب عبد الله الحداد من ديوانه الدر المنظوم لذوي العقول والفهوم يتحدث فيها عن الروح التي سجنت فى هذا الجسد حديثًا قريبًا مما سبق . يقول الحداد :

يا أيها الجوهر المحصور فى صدف مخلوق غرض التغيير والكدرِ
مثبَّطٍ فى حضيض الحظ همّته فى لذة البطن والمنكوح والنظرِ
تقوده شهوات فيه جامحة حتى تزجَّ به فى لجّة الخطرِ
يا أيها الروح هل ترضي مجاورة على الدوام لهذا المظلم الكدرِ
فأين كنت ولا جسم تساكنه ألست فى حضرات القدس فادّكرِ
تأوي مع الملأ الأعلى وتكرع من حياض أنسٍ كما تجني من الثمرِ
تأتي إليك نسيم القرب مهدية عَرْفَ الجمال كعَرْف المندل العطرِ
حتى جُعلت بأمر الله فى قفص ليبتليك فكن من خير مختبرِ
فحين أبصرت هذا الجسم قد برزت به العجائب من بادٍ ومستترِ
أنستك بهجته ماكنت تشهده من قدس ربك فاعرف ضيعة العُمرِ
رضيت بالفكر عن كشف وأينك من جلية الحق إن أخلدت للفكرِ
لا تقنعن بدون العين منزلة فالخِبُّ من يكتفي بالظلّ والأثرِ

وعـد هـديـت فقد نوديت مُطّرحًا ... هـذا الـوجـود ومـا فيـه مـن الغيرِ
واسلك سـبيـلاً إلـى الرحمن قيّمة ... بها أتـاك إمـام البـدو والحـضـرِ
مشـروحة فى كتاب الله واضحة ... فسـر عليـها وكـن بـالـصدق متّزرِ
وبالريـاضـة مـن صمـت ومخمصة ... مع التخلـي عـن الأضـداد والسهرِ
ودم على الذكـر لا تسأمه معتقدًا ... أن التوجـه روح الـقـصـد فى السفرِ
واعلـم بأنـك لا تفضـي إلى غرض ... بدون أن تقتفى فـى الورد والصدرِ
خيـر النبـيين هـاديـنـا ومرشـدنا ... بمـا أتـانـا مـن الآيـات والسـورِ
صلى عليه إلهي كـلـمـا سجـعت ... حمـامـة فـوق ميّاس من الشجرِ

ورغم أن الحبيب عبد الله الحداد تحدث عن الروح التي كانت طليقة فى الملأ الأعلى فى حضرات القدس ، ثم أدخلت كارهة إلى هذا القفص (الجسد) . ولكنها نسيت عهودها المنيفة بما تراه من عجائب عالم الملك والشهادة بدلاً مما كانت تشاهده من عالم الملكوت والغيب، ورغم ذلك كله إلا أن الحبيب عبد الله الحداد يستفيد من ذلك فى توجيه سامعه وقارئه إلى النواحي العملية وأن يعود سريعًا إلى طريق الحق والصواب والهدى والنور وأن يتبع فى ذلك هادينا ومرشدنا بما آتانا من الآيات والسور التي شرحت كلها ما تحتاجه فى حياتك الدنيا والأخرى من علم وعمل وعقيدة وتزكية للنفس من الهوى والشيطان وحبٍّ الدنيا. وعليك بالمبادرة بالعمل مع صدق التوجه وإخلاص النية «فإنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى» واعلم أن التوجه روح القصد فى السفر. وأن الله سبحانه وتعالى لا ينظر إلى صوركم وإنما ينظر إلى قلوبكم . وما تغني الأعمال إذا لم تكن خالصة لله سبحانه وتعالى وأول ما يسعَّرُ فى جهنم عالمٌ ادعى أنه بعلمه عمل، وعلّمه الناس فقيل له : كذبت إنما أردت أن يقال عالم ، فقد قيل. وغني تصدق بمال كثير فقيل له إنك تصدقت ليقال كريم

وقد قيل، ورجل قاتل فى ظاهر الأمر فى سبيل اللّه حتى قتل فقيل له: إنما قاتلت ليقال شجاع وقد قيل فأُخذوا جميعًا إلى النار نعوذ باللّه من النار .

نساء من ضلع أعوج :

يقول جوته :

حذار من النساء فى كل مدرج

براهن من ضلع إلهي ، أعوج

ولن تستطيع أن تقيم ما اعوج

فإن شئت أن تثني تكسَّرن فجأة

وإن شئت أن تبقي ، تلوّن أكثرا

أآدم ، حقًا كان أمرك أعسرا

حذار من النسوان فى كل مطلع

فلا خير تجني أنت من كسر أضلع

تواضع للعارفين :

وكان جوته يحترم ذوي العلم وذوي العرفان، ولذا يقول:

ضع نفسك أمام العارفين

فهذا على أي حال ، مكان أمين

فإن عذّبت نفسك طويلاً

عرفوا ما يعوزك وإن كان فتيلاً

ولك أيضًا أن تأمل فى الثناء

لأنهم يعرفون قدرك حق المعرفة

وفى قصيدة أخري يستلهم قول الشاعر السعدي فى ديوانه - «جُلستان» (إن خشيت وسبّحت بحمده فمن ذا الذي لن يقول إنك ملاك) :

فإذا بقيت مثابـــرًا فــى الخير ممتحنا تقدر
فعليكموا يا سادتـي أن تـفعلـوا نحـو الإلــه
كفعل عبيد نحوكم قاسوا ولكن أخلصوا

زليخا:

وفى قصيدة بعنوان زليخا تقول:

تنبئ المـرآة نفسي أنـــنـي تــاج الجمـــال
أنت تنبئ أن حسني هـــو أيضـًا للـــزوال
كل ما فى الكون باقٍ أبـــدًا عند الإله
فأحــــب الله فى ذاتــــي تظفر بالنجاة

الراحة فى عمل الخير:

وفى قصيدة فى كتاب الحزن (رنج نامه) يقول إن الراحة هي فى عمل الخير، والسعي إلى الخير أمر حميد، لكن الأفضل هو اعتزال الناس حتى يتنفس بحرية، ويمكن الاشتراك مع الغير أثناء السفر، أو عمل مشترك ولكن النزاع بين البشر هو فى الغالب المسيطر .. وإذا لم تستطع الاعتزال فلابد من النضال والتزاحم بالأكتاف للوصول إلى الظفر:

إذا استــرحـت فـى الخير بسلام فـلــن أنحـسي عـليك باللائمة
وإذا صـنـعـت الـخـيـر فسيـــ ـضـــفــى عليك الـنـبــل
لــكـنــك إذا أقــمــت ســدًا حـول مــا لــديـك مـن خـيـر
فســأحـيــا حـــرًا نعــم حـــرًا ، لا يـخــدعــني أحـــد

لأن الناس أخيار وكانوا سيبقون أفضل
لو أن ما يفعله الواحد لا يفعل مثله الآخر فى الحال
وهناك مثل بريء من الذم يقول إذا قصدنا نفس المكان
فأولى بنا أن نسير معا فى الطريق وسنلقى خلال المسير صعابًا جمة
وفى الحب لا يرجو المرء عونًا ولا رفيقًا أبدًا
والمال والشرف يود المرء أن ينالهما وحده
والخمر، هذا الصديق الأمين ينتهي بإشاعة الاضطراب فى نفسك
وعن كل هذه المتاعب تكلم حافظ وحطّم رأسه بالتفكير
ولست أدري فيما ذا يفيد النجاة من هذه الدنيا
فإن ساءت الأمور إلى أقصى حد فأنت حرٌّ فى خوض المعارك

حفظة القرآن :

ويتحدث جوته عن حفظة القرآن الكريم فيقول :

قديمًا حين كان المرء يستشهد بالقرآن الكريم
كان يذكر اسم السورة والآية
فكان كل مسلم. كما هو الواجب
يشعر براحة الضمير والطمأنينة
ولا يستطيع الدراويش المحدثون أن يفعلوا خيرًا من هذا
إنهم يثرثرون عن القديم، ويصفون الجديد
فيزداد التشويش كل يوم
أيها القرآن .. أيتها الطمأنينة الخالدة

الدنيا عند جوته : مفاهيم إسلامية :

يأخذنا العجب كل العجب حينما نرى جوته يتحدث عن الدنيا تمامًا كما يفعل الزهاد من المسلمين. والقرآن ملىء بذم الدنيا وكذلك الأحاديث النبوية، وليس المقصود بذلك أن نترك العمل فى الدنيا، فالدنيا مزرعة الآخرة، ولكن المقصود إخراجها من القلب. وأن يكون التوجه كله لله، مخلصين له الدين ولو كره الكافرون وعندما وفد ضرار بن ضمرة الكناني على معاوية بعد مقتل الإمام علي ـ كرم الله وجهه ـ قال له معاوية: صف لي عليًا، فقال : «وأشهد بالله لقد رأيته فى بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه يتململ فى محرابه، قابضًا على لحيته تململ السليم (أي الذي لدغته الأفعى) ، ويبكي بكاء الحزين وكأني أسمعه الآن يقول : يا دنيا إليّ تعرضت أم إليَّ تشوّفت ؟ هيهات هيهات ! غُرِّي غيري. لقد طلقتك ثلاثًا لا رجعة فيها، فعمرك قصير، وعيشك حقير وخطرك كبير.. آه آه من قلة الزاد، وبعد السفر ووحشة الطريق!! فقال معاوية: قد كان والله أبا الحسن كذلك ».

وقد أجمع أهل الإسلام على ذم الدنيا ويقصدون بها التكاثر وحب المال والمنصب والجاه مما تؤدي إليه من البطر والكبر والغرور واحتقار الناس، وكفى بذلك من ذنب. قال تعالى : ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ ﴾ [العلق: ٦- ٧] ، وقال تعالى : ﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ ﴾ [التكاثر]
وقال عز من قائل : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ

وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ (١٤)﴾ [آل عمران: ١٤] وقال تعالى: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: ٣٢] والقرآن كله حافل بذمِّ الدنيا وأهلها بهذا المعنى. وكذلك الأحاديث النبوية الشريفة التي شبّهت الدنيا بجيفة حمار وأخبرت أنها لا تزن عند الله جناح بعوضة.

الدنيا كما يصفها جوته :

هذه الثرثارة المخيفة

هذه اللعوب الداعرة

التي نسميها الدنيا

قد خدعتني مثل سائرهن

انتزعت مني إيماني ، ثم رجائي

والآن أرادت أن تنازعني الحبَّ

هنالك انطلقتُ وأفلتُّ منها

لأحافظ إلى الأبد

على الكنز الذي استنقذته

وقد استعار جوته معنى أن الدنيا مثل البغي من حافظ الشيرازي في قوله: «لا تثقن بالدنيا ولا تأمن لها فإنها بغي فاجرة، ولها آلاف العشاق، هذه العروس السيئة السيرة» [1]

---

(١) كتاب قابوس ج١ / ٦١ كما ينقله عنه الدكتور عبد الرحمن بدوي في كتابه : جيته الديوان الشرقي للمؤلف الغربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ط٢ ، ١٩٨٠ ص ٢٨٠.

ويقول الحبيب عبد الله الحداد فى ديوانه الدر المنظوم لذوي العقول والفهوم:

ولما حدا بي حادي الشوق قاصدًا إليكم بجندي فطرتي وهوائي
دعتني إليها ذات مكر وحيلة وقالت أنا المقصود ليس سوائي[1]
فأفٍّ لها خدَّاعة لا تغرّني برونقها الممدود فوق خبائي
تنحّي تنحّي لا سلامًا ولا رضا تريدين قطعي عن سبيل غنائي
تحققت مطلوبي فأسرعت نحوه فدام سروري واضمحل عنائي
ودام شهودي واستمرت مواسمي وطاب زماني واستتم صفائي
بربي قيامي لا بنفسي ولا السوي فشكري له سبحانه وثنائي

ويقول فى قصيدته مخاطبًا تلميذه عبد الله بن عثمان العمودي الذي طلب منه الوصية:

وخالف النفس واستشعر عداوتها وارفض هواها وما تختاره تُصبِ
وإن دعتك إلى حظٍّ بشهوتها فاشرح لها غِبَّ ما فيه من التعبِ
وازهد بقلبك فى الدار التي فتنت طوائفًا فرأوها غاية الطلبِ
تنافسوها وأعطوها قوالب بهم مع القلوب فيا لله من عجبِ
وهي التي صغرت قدرًا وما وزنت عند الإله جناحًا فالحريص غبي
وخذ بلاغك من دنياك واسعَ به سعي المجدِّ إلى مولاك واحتسبِ
واعلم بأن الذي يبتاع عاجله بآجل من نعيم دائم يخسبِ
وإن وجدت فواس المعوزين يفضْ عليك من ربك الأرزاق فاستجبِ
وإن بُليتَ بفقر فارض مكتفيًا بالله ربِّكَ وارج الفضل وارتقبِ
وإن تجرَّدت فاعمل باليقين وبالعلم إذ كنت موقوفًا مع السببِ

إلى آخر القصيدة الوصية الجامعة الشاملة .

---

(١) يقصد عند توجهه إلى الله تعرضت له الدنيا تصدّه عن الطريق القويم .

وفى قصيدته المسماة بالنفحة العنبرية فى الساعة السحرية وهي مناجاة تقال فى السحر:

يارب يا عالم الحال إليك وجهت الآمال
فامنن علينا بالإقبال وكن لنا واصلح البال

وفيها يقول:

أشكو إليك وأبكي من شؤم ظلمي وإفكي
وسوء فعلى وتركي وشهوة القيل والقالْ
وحُبٌ دنيا ذميمة من كل خير عقيمه
فيها البلايا مقيمة وحشوها آفات وأشغالْ
يا ويح نفسي الغويّة عن السبيل السوية
أضحت تروّج عليه وقصدها الجاه والمال
يا رب قد غلبتني وبالأماني سبتني
وفى الحظوظ كبتني وقيدتني بالأكبالْ
قد استعنتك ربي على مداواة قلبي
وحلّ عقدة كربي فانظر إلى الغم ينجالْ

وهذه الأمثلة توضح ما فى التراث الإسلامي من ذم للدنيا الدنية التي ملأت القوالب والقلوب حتى تنافسوها واقتتلوا عليها فأضاعوا دينهم ودنياهم، وحتى استولى عليهم الشيطان فكبّهم جميعًا فى قعر جهنم.

والغريب حقًا أن جوته قد تأثر بهذا التراث الإسلامي الضخم، وخالف المفهوم الأوروبي وخاصة فى القرن الثامن عشر والتاسع عشر (مولده ١٧٤٩ ووفاته ١٨٣٢) حيث بلغ الصراع فى أوروبا أوجه. وبدأ

عهد الاستعمار والتنافس الشديد على امتلاك دول العالم مما سبَّب النكبات والحروب المدمرة فى أوروبا ذاتها .. وكانت أوروبا تعبدُ الذهب عبادة، وفى سبيله احتلّت الأمريكتين (الشمالية والجنوبية)، واحتلَّ الأسبان والبرتغال أمريكا الجنوبية والوسطى واحتل الإنجليز وتبعهم فى ذلك الفرنسيون والألمان أمريكا الشمالية، وقتلوا من أجل الحصول على الذهب أكثر من مائة مليون من سكان القارتين ممن يسمون الهنود الحمر. ثم جلبوا فى خلال قرنين من الزمن ما يزيد على مائة مليون من السود مات منهم فى التعذيب وفى المناجم والثورات والأمراض والأسقام أكثر من سبعين مليونًا. وفى هذا الجو المشحون بعبادة الذهب برسم الصليب يثور جوته على هذه المسيحية الصليبية الكاذبة وعلى هذا التكالب على الدنيا ويتحدث عن الدنيا كما تحدث عنها التراث الإسلامي متأثرًا فى ذلك بشعراء الفارسية حافظ الشيرازي ونظامي والفردوسي. وقد نجح جوته فى محاربة الدنيا، هذه اللعوب الداعرة التي خدعته أول الأمر، مثل سائر حبيباته السابقات، وزادت على ذلك بأن انتزعت منه إيمانه ورجاءه ، ثم أرادت أن تنازعه حبه لله وللإنسان وللخير فأفلت منها ومن حبائلها معلنًا أنه سيحافظ إلى الأبد على كنزه الذي استنقذه منها، واحتفاظه بحبه وعودة إيمانه ورجائه ويقينه.

وما أروع هذا الإيمان من جوته مبتعدًا عن الدنيا الغرور التي أوردت الإنسان المهالك ومعلنًا عن حبِّه لله وللإنسانية وللخير..

ريشة بين صفحات القرآن الكريم:

يقول جوته:

شاهدت بدهشة وارتياح

ريشة طاووس بين صفحات القرآن

مرحبًا بك فى هذا المكان المقدس

أيها الكنز الثمين الأرفع بين المخلوقات الأرضية

فيك ، كما فى نجوم السماء

ندرك فى الأشياء الصغيرة عظمة الله

ونرى أنه وهو الذي يحيط العوالم بنظره

قد وضع هنا طابع عينه

وزّين هذه الريشة الخفيفة

زينة لم يفلح الملوك

فى محاكاة روعتها فى هذا الطائر

انعمي (أيتها الريشة) فى تواضع جم بمجدك

تكوني جديرة بالمكان المقدس (أي القرآن) الذي ترقدين فيه

وهو فى ذلك ينظر إلى دقة الصنع والجمال فى هذه الريشة من الطاووس التي اشتهرت بدقة نقوشها وروعة زينتها ، وهي زينة لم يفلح الملوك فى محاكاتها. وكما أن فى هذه الريشة من الآيات الدالة على جميل صنعه وقدرته وحكمته، فإن آيات الله منبثة فى هذا الكون وعلى الأخص فى نجوم السماء. وما بين الريشة الخفيفة الصغيرة وبين النجوم الهائلة فى أفلاكها نرى قدرة الله وحكمته وعظمة آياته، فآياته سبحانه وتعالى تتجلى فى الحقير والصغير كما تتجلى فى الخطير والكبير . كما أن هذه الريشة قد سعدت بمجاورة القرآن الكريم، فإن كان فى خلقها آية أو بضع آيات، فإن القرآن الكريم كله آيات باهرات دالات على أن هذا القرآن هو من عند الله الحكيم

الخبير. وما أجمل أن تكون هذه الريشة الجميلة تنعم فى تواضعٍ جمٍّ لتكون جديرة بالمكان المقدس الذي ترقد فيه.

عقيدة المسلم الحق:

يقول جوته فى كتاب «الخلد» من ديوانه الشرقي:

المسلم الحق يتحدث عن الفردوس

كما لو كان هو نفسه هناك

ويؤمن بالقرآن وما يعدُ به

وعلى هذا الأساس تقوم العقيدة الطاهرة

والنبي الذي أُنزل عليه هذا الكتاب

يعرف نقائصنا ويكشفها فى الأعالي

ويرى أنه على الرغم من رعود اللعنات

فكثيرًا ما تأتي الشكوك لتسمم الإيمان

ولهذا يرسل (الحق) إلينا من عليين

أعجوبة شباب لتجديد شباب كل شيء

تنزل برقّة ، وفى الحال تعانق رقبتي وتربطها بألطف الروابط

وعلى حجري، وعلى قلبي أضمُّ

هذه المخلوقة السماوية ولا أريد المزيد

ومن هنا أو من بالفردوس إيمانًا راسخًا

لأني أريد أن أقبّلها إلى الأبد بإخلاص

يقول جوته: إن المسلم يؤمن باليوم الآخر ويؤمن بكل ما جاء به القرآن الكريم من وصفه للفردوس ، فهو يعمل للوصول إلى ذاك النعيم، وكأنه كان بالفعل هناك والنبي محمد ﷺ الذي أنزل عليه القرآن تُعرض عليه أعمالنا وهو فى أعلى عليين كما فى الحديث الشريف، فإن وجد خيرًا حمد الله وإن وجد غير ذلك ، دعا الله سبحانه وتعالى لنا.

ويرسل الله سبحانه وتعالى عندما ندخل إلى الفردوس أعجوبة شباب لتجديد شباب كل شيء . فها هي تنزل برقة ولطف ومحبّة وشوق إلى من أرسلت إليه فى الجنة وأن ريحها أطيب من المسك ومن كل العطور، وجمالها يزري بجمال جميع فاتنات الأرض، وها هي متحببة إلى زوجها تعانقه .. وها هو يضمُّ فى قلبه وعلى حجره هذه المخلوقة السماوية ، حتى يقول : لا أريد المزيد فالنعيم كله ها هنا .. ويؤكد جوته إيمانه بالفردوس كما جاء وصفه فى القرآن الكريم والسنة المطهرة، إذ لا يوجد وصف للفردوس فيما يسمي الكتاب المقدس . أما التوراة الموجودة بين أيدي الناس فلا ذكر فيها مطلقًا لليوم الآخر ولا الجنة والنار. وأما الأسفار الأخرى فى العهد القديم وفى الأناجيل ، فإن فيها ذكرًا لليوم الآخر ، ولكن النعيم هناك معنوي وروحي، وكذلك العذاب.

والصورة للفردوس التي يعرضها القرآن الكريم فيها النعيم الحسّي والمعنوي، وهو ما لا يستسيغه الغربيون وبالذات المستشرقون، وبسبب ذلك هاجموا الإسلام واعتبروه دينًا حسيًا ماديًا . وهم فى ذلك كاذبون مفترون. ولكن جوته ينطلق فى قصائد كثيرة يذكر الجنّة ونعيمها. وقد نقلنا قصائده فى الشهداء وكيف تستقبلهم الحوريات بالنعيم الأبدي ، فلا حاجة إلى إعادتها.

والخلاصة أن جوته مؤمن بكل ما جاء فى القرآن الكريم من وصف للجنة والنار ، وأن فيهما النعيم والعذاب المادي الحسّي العنيف كما أن فيهما النعيم والعذاب المعنوي . وأكبر نعيم فى الجنة رؤية المولى سبحانه وتعالى ويسمي ذلك اليوم يوم المزيد ، قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ (٢٤) تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ (٢٥)﴾ [القيامة:٢٢- ٢٥] ، وقال تعالى : ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ (٣٥)﴾ [ق : ٣٥] والمزيد هو رؤية الحق سبحانه وتعالى وهو نعيم يفوق الجنة بما لا يقاس.

وهكذا نرى جوته يردُّ على المستشرقين من الأوروبيين ويعلن لهم أنه يؤمن بالقرآن الكريم وما جاء فيه من وصف للفردوس، ويتغنَّى بالحوريات، كما أنه يؤمن بما جاء من وصف للجحيم وما فيه من عذاب أليم.

أربع من النساء كاملات :

لقد جاء فى الحديث الشريف أنه لم يكمل من النساء سوى أربع هن: آسيا امرأة فرعون ، ومريم العذراء، وخديجة، وفاطمة عليهن السلام.. وأخذ جوته هذا المعنى ولكنه اضطرب فى ذكر هاته النساء الأربع فمرة ذكر زليخا (التي أحبَّت يوسف عليه السلام والتي تزوجها فى آخر المطاف) وخديجة وفاطمة المحبوبة ومريم العذراء . وفى قصيدة أخرى ذكر النساء الأربع واستبدل آسيا امرأة فرعون (وهو الصواب) بدلاً من زليخا ثم مريم تاج العذاري ، ثم عائشة أحب الزوجات إلى النبي (وعائشة كانت كذلك ولكنها لم تكن من الأربع، بل كانت خديجة ، رضى الله عن زوجات رسول الله أجمعين) ثم فاطمة ومن الواضح تأثر جوته بما ترجم من أحاديث النبي ﷺ .

يقول جوته:

لن يصنع النساء شيئًا

إذا رجين فى الأمانة الخالصة

بيد أننا لا نعرف عنهن غير أربع

هن اللواتي دخلن الجنة

الواقع أن اللاتي دخلن الجنة أو سيدخلنها كثيرات ولكن الحديث الشريف تحدث عن الكمال فى النساء، وليس من دخل الجنة منهن، ولعل ذلك بسبب الترجمة أو النقل الذي استمد منه جوته معلوماته، ثم يقول فى وصف هؤلاء الأربع بحسب ترتيبهن الزمني.

الأولى هي زليخا ، شمس الأرض

التي اشتعلت حبًّا ليوسف

وهي الآن نعمة الفردوس

تلمع بوصفها نموذج الزهد

ثم المباركة بين الجميع

التي ولدت خلاص جميع الكافرين

ثم خُدعت فى ألمها المرّ

فشاهدت ابنها يُفقد على الصليب

ويتحدث هاهنا عن مريم العذراء البتول المباركة بين الجميع التي ولدت يسوع عليه السلام بدون أب ، معجزة من الله سبحانه وتعالى . ولا نستغرب أن يقول إنها شاهدت ابنها يفقد على الصليب فهو قد ولد ونشأ وترعرع ومات فى بيئة مسيحية .. وقرأ الأناجيل حتى كاد

يحفظها.. وقوله ذلك خطأ من وجهة النظر الإسلامية فعيسى لم يصلب بل رفعه الله إليه. قال تعالى : ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾.

والثالثة هي خديجة- رضى الله عنها- يقول جوته :

وزوجة محمد التي هيأت له النجاح والمجد

وأوصت ألا يكون إلا ربٌّ واحد وزوجة واحدة

وقوله: وأوصت ألا يكون إلا رب واحد صواب، أما قوله وزوجة واحدة فخطأ بسبب ثقافته الأوروبية التي ترى فى الزواج من أكثر من واحدة أمرًا غير صواب، ولعل مرد ذلك الوهم أن النبي ﷺ لم يتزوج فى حياتها غيرها. وقد مكث معها ما يقارب الثلاثين سنة لم يرَ أفضل ولا أجملَ ولا أنبلَ منها. وأحبَّها من كل قلبه، وبادلها حُبًّا بحبٍّ فكانت خير زوجاته على الإطلاق.

ثم تأتي فاطمة المحبوبة

الابنة ، والزوجة التي لا عيب فيها

ذات الروح الملائكيّة الطاهرة

فى جسمها الذهبي كالعسل

هؤلاء هن اللواتي نجدهم هناك

ومن رفع ذكر النساء

يستحق فى المقام الدائم

أن يتنزَّه بصحبتهن

وفى قصيدة أخرى يتحدث جوته مرة أخرى عن هؤلاء النسوة الأربع فيقول:

أربعًا هُنَّ أجمل النساء

حتى إن الحوريات يخشين

إذا تطلعن فيهن أن تذهب أبصارهن

إن الأبناء المقدور لهم السرور

يتجدّدون فى ينبوع الشباب

ولهم نموذج خالد فى جمالهم هم

آسيا ، سيدة مصرايم (أي مصر)

كان جبريل نفسه يميل إليها [١]

وراحيل [٢] لا تشبهها

ثم مريم تاج العذارى

التي ولدت «الكلمة»

وجزاء إيمانها الطاهر

لم تفقد شيئًا من قيمتها

ثم عائشة، أحبُّ الزوجات إلى النبي

المخلصة الشجاعة، فى الضراء والبأساء

(١) إذا كان يقصد أنه يحبها لطهارتها وصبرها على فرعون الجبار جاز ذلك، وإن أراد الميل والرغبة فحاشاه من ذلك. وهذه من سقطات خيال الشعراء.

(٢) راحيل هي زوجة يعقوب وقد كانت جميلة وهي أم يوسف ومنها ورث الجمال مركزًا .

ولكنها لم تخلُ من المكر شأن الكثيرات [١]

ثم فاطمة المحبوبة

زوجة علي، ولا عيب فيها

مثل جسم من عسل ذهبي

ولها روح أطهر الملائكة

هؤلاء ماجدات

فى أعلى دوائر الفردوس

ولكن مئات مثلهن

سيكُنَّ لطيفات معك فى الفردوس

(ويقصد هاهنا الحور العين)

قصائد فى المسيح عليه السلام :

وفى قصيدة عن المسيح يقول:

ولابد أن المسيح يعلم هناك

فى جماعة أهل الجنة

من ذا يستطيع أن يضمن

أن ما قاله الحورايون هو ما قصده حقًا

وها هنا يتشكك جوته فيما رواه كُتَّابُ الأناجيل وفى زمنه كان يُظنُّ أنهم من الحواريين، ولكن الأبحاث فى القرن العشرين أثبتت أن

---

(١) وما ذكره عن عائشة صواب إلا أنها لم تكن من الأربع الكاملات فخديجة هي التي ذكرها الحديث الشريف، ومكر النساء معروف . وقد ذكر القرآن الكريم من ذلك أشياء عديدة، منها قوله تعالى فى عائشة وحفصة: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [التحريم :٤].

كُتَّاب الأناجيل ليسوا من الحواريين، وإنما شخصيات مجهولة جاءت بعد رفع المسيح بعشرات إن لم يكن مئات السنين [1].

وفى قصيدة أخرى سيأتي ذكرها يقول:

ويسوع كان طاهر الشعور وفى الهدوء

لم يفكر إلا فى الله الواحد الأحد

فمن جعل منه إلهًا

فقد أساء إليه وخالف إرادته المقدسة

لله درك يا جوته . يا من عرفت الحق وآمنت بما جاء به القرآن عن يسوع عليه السلام.

وقد قال لهم عيسى عليه السلام كما جاء فى القرآن الكريم: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٥١] وقال تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران: ٥٦] ، وقال تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ [آل عمران: ٧٩] ، وقال تعالى : ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴾ [النساء: ١٧٢] ، وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ

---

(١) انظر تفاصيل هذه القضية وما جاء فيها عن أهم المراجع النصرانية الحديثة فى كتاب: دراسات معاصرة فى العهد الجديد والعقائد النصرانية لكاتب هذه السطور إصدار دار القلم دمشق ٢٠٠٦.

ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ (٧٢) لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ (٧٤) مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ (٧٥)﴾ [المائدة : ٧٢- ٧٥] ، وقال تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ (١١٦) مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ (١١٧)﴾.

[المائدة : ١١٦- ١١٧].

وهكذا نجد جوته يصرّح بأن عيسى عليه السلام لم يدّع قطّ أنه إله أو ابن الإله:

ويسوع كان طاهر الشعور وفى الهدوء

لم يفكّر إلا فى الله الواحد الأحد

فمن جعل منه إلهًا

فقد أساء إليه وخالف إرادته المقدسة.

وفى قصيدة طويلة اقتطفنا منها كلامه عن يسوع الطاهر الذي أنكر أنه إله بل دعا إلى عبادة الله وحده.

يقول جوته:

لقد اختارت لها جدًّا

أبراهام سيد النجوم

وموسى فى تيه الصحراء

صار عظيمًا بفضل الواحد الأحد

ويبدو أن حبيبته هذه كانت تدّعي أنها من نسل إبراهيم عليه السلام، ومن أتباع موسى فهي إذن يهوديه . وهو يتحدث عن إبراهيم عليه السلام (بكل توقير) الذي أفرد الله بالعبادة وكذلك موسى عليه السلام الذي صار عظيمًا بفضل الواحد الأحد .

ثم يقول :

كذلك داود ، بعد أن ارتكب العديد من المعاصي

بل والعديد من الجرائم

استطاع أن ينجّي نفسه بأن يقول

لقد عبدت الواحد الأحد

وهاهنا نرى تأثير ثقافته المعتمدة على ما يسمى الكتاب المقدس (Bible) الذي شتم وسبَّ جميع الأنبياء والمرسلين، وألصق بهم أسوأ التهم ونال داود عليه السلام من ذلك قدرًا كبيرًا من الاتهامات الباطلة الزائفة ومنها أنه ـ حسب زعمهم الكاذب ـ زنى بحليلة جاره أوريا الذي كان أحد قوّاد جيشه، ثم دبَّر مكيدة لقتله ، وأنه عندما هجم على مدن العمونيين لم يكتف بقتل المقاتلين، بل قتل النساء والأطفال والشيوخ والذين لم يقاتلوا قط، ووضعهم فى نوارج من حديد، ثم أمر بعد أن فرمهم بأن يحرقوا. كما صوروه بصورة الكاذب والمخادع عندما

كان يتعامل مع ملك الفلسطينيين ملك (جت) الذي أكرمه وجعله ضمن قواد جيشه، فكان يسجد لهذا الملك ويتزلّف له تزلفًا حقيرًا، وفى الليل يذهب ليقتل الآمنين من النساء والأطفال من الفلسطينيين ، لقد صوروه فعلاً بأبشع صورة وأحقر جريمة. ومع ذلك يذكرون له المزامير التي ينشدها ويوحِّدُ الله فيها. وقد استعرضت أسفار صموئيل الأول والثاني، والملوك وأخبار الأيام قصة داود عليه السلام. وأما المزامير وأغلبها منسوبة إلى داود فهي فى سفر خاص. ولا يسمح المجال لاستعراض ذلك كله هاهنا [1] . وتكفينا هذه اللمحة، والمقصود منها أن جوته نفسه قد وقع فى هذا الخطأ الفاحش بسبب ثقافته وبيئته وقراءته للكتاب المقدس منذ نعومة أظفاره.

ثم يقول جوته:

ويسوع كان طاهر الشعور وفى الهدوء

لم يفكر إلا فى الله الواحد الاحد

فمن جعل منه إلهًا

فقد أساء إليه وخالف إرادته المقدسة

ولهذا ظهر الحق لمحمد

وبه نال الفلاح والنجاح

فبفكرة الله الواحد الأحد

ساد الدنيا بأسرها

---

(١) انظر كتاب الله والأنبياء فى التوراة والعهد القديم ، دار القلم دمشق للمؤلف لمزيد من التفصيل فصل داود عليه السلام .

وقد صدق فى ذلك كله فآمن بالله ربًا وبمحمد نبيًا ورسولاً وبأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته التي ألقاها إلى مريم .

ثم يمضي يخاطب حبيبته التي كانت تحمل الصليب ويقول لها :

لكنك إذا اقتضيت مني، رغم هذا

أن أمجد هذا الشىء الفظيع (المقصود الصليب الذي تلبسه)

فسأزعم اعتذارًا عن ذلك

أنك لست وحدك التي تتصرين

ومع ذلك وحدك! كما أن كثيرًا من نساء سليمان سقنه

إلى عبادة الآلهة بالتطلع إليها

الآلهة التي كانت تعبدها هذه المجنونات

وهنا يقع جوته فى أسر ثقافته واعتماده على ما يسمى «الكتاب المقدس» الذي زعم أن سليمان عليه السلام تزوج بسبعمائة امرأة وتسرَّي بثلاثمائة. وأن نساءه أملن قلبه فأقام لهن المعابد الوثنية، بل وعبدها معهن لإرضائهن. وحاشا لسليمان عليه السلام أن يفعل ذلك . جاء فى سفر الملوك الأول: «وأحبَّ الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون. موآبيات وعمونيات وأدوميات وصيدونيات وحثيات، من الأمم الذين قال عنهم الربُّ لبني إسرائيل: لا تدخلون إليهم ولا يدخلون إليكم لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم، فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبّة. وكانت له سبعمائة من النساء السيدات وثلاثمائة من السراري فأمالت نساؤه قلبه، وكان فى زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى، ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلهه كقلب داود، فذهب سليمان وراء عشتروت آلهة الصيدونيين، وملكوم رجس العمونيين،

وعمل سليمان الشرَّ فى عينَي الربّ ولم يتبع الربَّ تمامًا كداود أبيه.. حينئذ بنى سليمان مرتفعه (معبدًا) لكمّوش رجس الموآبيين، ولمولك رجس بني عمّون. وهكذا فعل لجميع نسائه الغريبات اللواتي كن يوقدن ويذبحن لآلهتهن» [سفر الملوك الأول١١ /١- ١٢].

ويتحدث جوته إلى حبيبته حاملة الصليب على جيدها ويقول لها: إنه سيفعل مثلما فعل سليمان (حسبما ذكرته أسفار العهد القديم المحرَّفة التي افترت على الأنبياء بهتانًا وزورًا) ويقول: إن نساء سليمان قدّمن قرن إيزيس (من آلهة المصريين القدماء) وشِدق أنوبيس (كذلك من آلهة المصريين القدماء) وأن سليمان عليه السلام قَبِلَ بذلك (وهو أمر غير صحيح بل بهتان).

وأنت تريدين أن تقدمي إليَّ على أنها إله

هذه الصورة البائسة للمصلوب على الخشب

وهو يسخر من عقيدتها التي تعبد المصلوب على الخشب على أنه إله وما هو بإله وإنما هو رسول مكرّم من عند الله. وهو عيسى بن مريم عليه السلام ولكنه يقول لها:

مثلَ فِعلِ سليمان سأفعل

من أجل قبلة من الحبيب

وهو يعتقد اعتقادًا جازمًا أن عبادة الصليب باطلة ونوع من الوثنية ولكن الحبَّ غلاب. يقول عبد الرحمن بدوي فى تعليقاته [1] : «لقد تضايق الشاعر لأن محبوبته، وقد أهدى إليها عقدًا من اللؤلؤ، قد علقت فيه صليبًا لتبيّن عبادتها للمسيح كإله. وجيته يقول لها: إن

---

(١) جيته: الديوان الشرقي للمؤلف الغربي ترجمة د. عبد الرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ١٩٨٠ ص ٣٥٠.

أسلاف المسيحية كلهم إنما آمنوا بإله واحد: إبراهيم الذي تجلت له عظمة الله وهو يتأمل السماء بما فيها من نجوم لا نهاية لها . ثم موسى التيه على جبل الطور، ثم المسيح نفسه ثم محمد ﷺ ، وقد تأثر جيته هنا بما ورد فى القرآن الكريم من آيات تؤكد أن الله أحد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد» وتلك التي تؤكد أن المسيح رسول الله ليس إلا ﴿وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٞ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴿٧١﴾ لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴿٧٢﴾﴾ .

[المائدة: ٧١- ٧٢].

وقوله :﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾[المائدة : ٧٥].

وقوله: ﴿لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعٗا﴾ [النساء: ١٧٢] ، ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[آل عمران:٥٩] وقوله: ﴿وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾[المائدة ١١٦]. وجيته إذن كان يتصور المسيح كما تصوره الإسلام.

لكنه فى سبيل الحبِّ لا يجد حرجًا وقد رأي الصليب معلّقًا فى جيد الحبيبة أن يبدو أنه على استعداد للإقرار بألوهية المسيح، وإن كان فى ذلك كفران بالإله الحق الواحد الأحد، وأن ينظر إلي الصليب الذي رأى فيه ابركساس على أنه طلسم . ويعزّي الشاعر

نفسه عن هذا الموقف الغريب بما وقع لسليمان (حسب زعم أسفار العهد القديم) الذي اضطر إلى الإيمان بإلهين مصريين إيزيس وأنوبيس إرضاء لزوجاته المصريات.

وربما كان الباعث على هذه القصيدة تجربة وقعت لجيته مع مريانة فون فليمير، وكانت كاثوليكية تحمل صليبًا على صدرها.. وبناء على نصيحة بواسريه استبعد جيته هذه القصيدة من طبعات «الديوان الشرقي» أثناء حياته . نظرًا لما فيها من فكرة عن المسيح تؤذي شعور المسيحيين.

ولكن هذه القصيدة مع قصائد غيرها نُشرت بعد وفاته ، وألحقت بالديوان الشرقي . ومن هذه القصائد تلك التي تتحدث عن الشرق والغرب، وأن كلاهما يقدم أشياء طاهرة للتذوّق، فدع الأهواء، ودع القشرة، واجلس فى المأدبة الحافلة.. ولا ينبغي لك أن تنأى بجانبك عن هذه المأدبة الحافلة.

ويُروى عن بشار بن برد[1] أنه وجد فتاة نصرانية جميلة تضع الصليب على صدرها فقال :

بنت النصارى إني أرى عجبًا

ما للمسيح على نهديك قد صُلبا

وهو خيال شاعر ماجن أعمى البصر والبصيرة

الشرق والغرب :

وفى قصيدة أخرى يقول:

من يعرف نفسه والآخرين

يعترف هنا أيضًا أن

(١) أخبرنى بذلك الصديق وزميل الدراسة الثانوية السيد عمر بن أحمد الشاطري حفظه الله.

الشرق والغرب لا يمكن بعد أن يفترقا

وبودّي أن أهدهد نفسي

سعيدًا بين هذين العالمين

وإذن فالتحرك بين الشرق والغرب

هو الملك الأفضل

وقد صدق جوته. ولو تم التعاون بين الشرق والغرب وسارا معًا لخدمة الإنسانية لسعدت الإنسانية بذلك . ولكننا إلى اليوم نرى تلك الحرب المستعرّة الأوار التي يذكيها الصليبيون الجدد والمسيحيون المتصهينون ويعلنونها صراعًا للحضارات، كما فعل هنتجتون، وهم لا يقصدون سوى الحضارة الغربية (التي يسمونها المسيحية – اليهودية) والإسلام . فهم لا يشنون حربًا ضد عقائد الهنود، ولا عقائد البوذيين بمختلف فرقهم وطوائفهم، ولكن حربهم كلها ضد الإسلام. وقد خابوا وخسروا ، وعلى نفسها جنت براقش ، وستدور عليهم الدائرة بإذن الله فى نهاية المطاف. ولو عقلوا لأخذوا بنصائح جوته الحكيم حتى يلتقي الشرق والغرب فى وئام وسلام ويعملان سويًا لخير الإنسانية فى كل مكان.

جوته يشيد بحافظ وأنه يدانيه :

ونرى جوته الحكيم وهو يشيد بحافظ الشيرازي الذي أعجب به أيما إعجاب ويقول فى تردد: إنه مثله، ولكنه يتطامن ويتواضع ويرى أنه قريب من حافظ . لكن حافظ أكثر رقة فى أغانيه السريعة الرشيقة التي امتلأ بها إعجابًا .

إي حافظ ! مساواتك ؟ أي جنون ؟

على أمواج البحر المائج تتابع السفينة المسير

وتشعر بأن شراعها ينتفخ فتمخر فخورة جسورة

فإن حطّمها البحر المحيط سبحت، خشبة متعفّنة

فى أغانيك الرشيقة يتماوج سيلك الرطيب

والبحر يغلي بأمواج من نار والحريق يبتلعني

لكني أحس بشائعة الكبرياء تشيع فى نفسي الجرأة

وأنا أيضًا ، فى بلاد يغمرها النور عشت وأحببت

وهو يعترف أنه لا يستطيع أن يساوي حافظ، ولكنه علي أية حال يجري على سننه ونسق فكره وحياته.

أهل الكهف:

تأثر جوته بقصة أهل الكهف التي وردت فى القرآن الكريم، وألهمته القصة قصيدة طويلة دمج فيها قصة النمرود الذي عذّبه الله بالبعوضة نتيجة استكباره وادعائه الألوهية وقوله أنا أحيي وأميت . واستخدم جوته خيال الشعراء ونسج من ذلك كله قصة وقصيدة.

قول جوته :

ستة من المقربين فى القصر

يهربون من غضب الإمبراطور

الذي يريد أن يعبده الناس كإله

لكنه لا يكشف عن نفسه إلهًا

لأن بعوضة تمنعه

من الاستمتاع بأطايب المائدة
وخَدَمَهُ يطيِّرون البعوضة بتحريك المروحة
لكنهم لا يستطيعون طردها
إنها تطنُّ حواليه وتلسعه وتحوم
وتعكّر كل المأدبة
ثم تعود من جديد
فقال الخدم : ماذا ؟!
أتستطيع ذبابة صغيرة أن تضايق إلهًا
وهل يشرب الإله ويأكل ؟ مثلنا نحن ؟
كلا .. إن الواحد الذي خلق الشمس والقمر
ودوَّر فوقنا قبة السماء ذات النجوم
هذا هو الله فلنهرب ! والفتية اللطاف
ذوو الخفاف الخفيفة والزينة الرقيقة
آواهم راع خبأهم
هم وهو معهم فى كهف صخري
ولم يشأ كلب الراعي أن يذهب
طردوه ، وانكسر حافره، لكنه بقى ملتصقًا بسيّده
وانضم إلى الهارب المختبئ وإلى أصحاب النوم
أما الأمير الذي فروا من وجهه
فقد أنكر فى عقابهم غاضبًا

فأبعد السيف والنار

وبحجارة وجير سد عليهم باب الكهف

لكنهم ينامون باستمرار

والمَلَك الذي يرعاهم

يقول فى تقريره أمام عرش الله:

لقد قلَّبتهم ذات اليمين وذات الشمال

حتي لا تضَّارَّ أعضاؤهم الرقيقة

بما ينبعث من هذه الحمأة

وفتحتُ شقوقًا فى الصخور

حتى تجدّد الشمس، فى طلوعها وغروبها

الألوان النضرة لخدودهم

وهكذا يرقدون فى نعيم

والكلبُ الصغير، مستندًا إلى قدميه الأماميتين وقد شفيتا

ينام نومًا هادئًا

وتمر الأعوام وتأتي السنون

وأخيرًا يستيقظ الفتية

والجدار وقد قرضه الزمان

تهدَّم من القدم

وقال يامبليخوس الجميل،

وهو خيرهم علمًا وتربية،

وقد شاهد الراعي خائفًا ،

سأعود وسآتيكم بطعام

وسأخاطر بحياتي وبقطعة الذهب.

وكانت مدينة أفسوس منذ سنوات عديدة

قد آمنت بمذهب النبي عيسى عليه السلام

وجرى مسرعًا ، لكن الباب والأسوار والبرج

وكل شيء كان قد تغير

لكنه أسرع إلى أقرب خبّاز

وطلب خبزًا وهو فى لهفة

فصاح الخبّاز : أيها الوغد!

هل وجدت أيها الفتى كنزًا

إن هذه القطعة من الذهب تفضح أمرك

أعطني ، قاسمني إياه ونتفاهم

وتنازعا وأمام الملك عرضت القضية

والملك هو الآخر لا يريد إلا أن يقاسمه مثل الخبّاز

هنالك تكشّفت المعجزة شيئًا فشيئًا بآلاف العلامات

والفتى يستطيع أن يقرر حقّه فى القصر الذي بناه بنفسه

لأن عمودًا شُقَّ أفضي إلى كنوز نقشت فيها أسماء محددة

وفى الحال تجمعت أسر لتقدم دليلاً على قرابتها

ولع يامبليخوس كأول جدٍّ فى زهرة شبابه

وراح يسمعهم يتحدثون عن ابنه وأحفاده
كما يتحدثون عن أجداد لهم
وأحاطت به جماعة ذريته وهم صفوة من كرام القوم
ليكرّموه ، وهو أكثرهم شبابًا
وجاءت علامة بعد أخرى
تتدافع لتتمَّ البرهان
بالنسبة إليه وإلى أصحابه، قد استعاد شخصيته
ثم عاد إلى الكهف بصحبة الشعب والملك .
لا يلتفت إلى الملك ولا إلى الشعب
لأن السبعة (وكانوا ثمانية إذا حسبنا الكلب)
قد انسحبوا من العالم منذ زمان طويل
وقوة جبريل السرّية حملتهم إلى الجنة
حسب مشيئة الله وبدا الكهف مسدودًا

وواضح أن جوته قد تأثر بقصة أهل الكهف ولكنه أدمجها بقصة النمرود وكلاهما ورد فى القرآن الكريم. وكأي شاعر استخدم خياله ليملأ فجوات القصة. قال تعالى فى قصة النمرود : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾

[البقرة :٢٥٨].

قال ابن كثير في تفسيره بعد أن ذكر تعنّت النمرود وطغيانه ، حيث قال أنا أحيي وأميت، وأتي برجلين قد حُكم عليهما بالإعدام، فقتل واحدًا وترك الآخر ،مدعيًا بذلك أنه يحيي ويميت، وهو يعلم علم اليقين أنه لا يستطيع الإحياء والإماتة ولكنها مغالطة ومكابرة لمن حوله وإدعاء للألوهية فقال له إبراهيم ﷺ: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ثم إن الله ابتلاه بعد هذه الآيات والحجج الدامغة بالبعوضة أو الذبابة دخلت أنفه فوصلت دماغه فكان يبكي منها ويضرب دماغه بالحيطان والجدران حتى يخفّف من تلك الآلام. ونحن نعرف في الطب اليوم أن بعض أنواع الذباب ترمي ببيضها في أنف الإنسان، فتفقس تلك البويضات وتتحول إلي يرقات فتدخل إلى الدماغ وتنهش فيه حتى تقضي على المصاب، بعد أن يتعذّب فترة من الزمن. وقد يمكن استنقاذ الشخص، إذا تم التشخيص، بعملية جراحية تزيل المنطقة المصابة بما فيها من يرقات وينتج عن ذلك شلل وتغيرات في الشخصية، ويعرف هذا الذباب **Myiosis** بالنغف **Bot Fly** ويوجد في أمريكا اللاتينية، ونوع آخر في إفريقيا وجنوب أسبانيا يعرف بذبابة تومبو **Tumbufly** ومنها يرقات تمص الدم **Blood Sucking Floor Maggots** وهو ذباب يوجد على الخنازير في أفريقيا .كما أن هناك أكثر من خمسين نوعًا من يرقات الذباب قد تصيب الإنسان. وقال الحبيب الإمام عبد الله الحداد في : التائية الكبرى:

وما لعدوّ الله نمرود يدّعي ربوبية فاسأله دفع البعوضة

فهذا المغرور المدعي للربوبية قد عذّبه الله هذا العذاب الشديد المهين في الدنيا بين جنده وأتباعه بالذباب أو بالبعوض.

وقد جعل جوته هذا الملك الطاغية فى قصة الفتية من أهل الكهف حيث كانوا يعملون فى قصره، وأنكروا عبادتهم له، ورفضوا أن يعبدوا أحدًا سوى الله فاضطروا للفرار منه . فسلّط الله على ذلك الملك الجبار مدعي الألوهية بعوضة تضايقه وتلسعه وتحوم حوله وتعكّر صفو حياته وتذلّه فى عزّ مملكته، وهو وعبيده وحشمه لا يستطيعون لها دفعًا .

يقول جوته معلقًا على لسان الفتية :

أتستطيع ذبابة صغيرة أن تضايق إلهًا ؟

وهل يشرب الإله ويأكل مثلنا نحن

كلا إن الواحد الذي خلق الشمس والقمر

ودوّر فوقنا قبة السماء ذات النجوم

هذا هو الله فلنهرب

وهكذا هربوا ، وخبأهم راع، ثم ذهب معهم وكلبه إلى الكهف، فصاروا سبعة وثامنهم كلبهم. ويتخيل جوته أن الملك عرف بأمرهم وأنهم دخلوا الكهف فأمر بسدّ الكهف حتى يموتوا فيه. ولكنهم لم يموتوا بل ناموا وجعل المَلَكُ يقلّبهم ذات اليمين وذات الشمال. وفتح شقوقًا فى الجدار حتى تدخل إليهم الشمس فمكثوا فى كهفهم ذلك ما شاء الله أن يكون ﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا﴾. ثم أفاقوا من نومتهم الطويلة وتطوّع أحدهم ليأتي لهم بما يأكلونه . فكُشِفَ أمرهم. وكانت المدينة وملكها وأهلها قد آمنوا منذ زمن بعيد بعد زوال الملك الطاغية.

ونلاحظ ها هنا أن جوته يخبرنا أن مدينتهم (أفسوس ، وهي موجودة في الأناضول في تركيا اليوم) قد آمنت بمذهب النبي عيسى عليه السلام . ولم يقبل جوته كلامهم بألوهية عيسى بل أكد ذلك بقوله النبي عيسى عليه السلام .

وإليك قصة أهل الكهف كما وردت في القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا (٩) إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا (١٠) فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا (١١) ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا (١٢) نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى (١٣) وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا (١٤) هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا (١٥) وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا (١٦) ۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا (١٧) وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا (١٨) وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا (١٩) إِنَّهُمْ إِن

يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُواْ ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ وَلَبِثُواْ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ ۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [الكهف: ٩- ٢٧].

وإليك تعليقات سريعة جداً :

١- لا مقارنة بين قصة أهل الكهف فى القرآن العظيم فى جمالها وروعتها ودقتها وصدقها وبين ما أورده جوته . ولكن عذر جوته أنه يريد أن ينقل هذه القصة بخيال الشاعر إلى قومه فأضاف وحذف .

٢- تميز جوته بالدعوة من خلال قصيدته إلى توحيد الله سبحانه وتعالى وإلى التنديد بالملك الجبار (وخلط قصته بقصة أهل الكهف) . وهل فعل ذلك متعمداً أم خطأ ؟ الله أعلم . ولكن غرضه واضح فى التنويه بهذا الملك المدعي للألوهية.

٣- أعلن جوته أن مدينة أفسس (وهي المدينة التي يقال إن أهل الكهف ظهروا فيها) قد آمنت بعيسى عليه السلام نبيًا ورسولاً ولم تؤمن به إلهًا ولا ابن الإله. وهو فى ذلك مصادم لعقائد النصارى فى وطنه وفى أوروبا وفى العالم كله.

٤- اختار جوته عدد أهل الكهف بأنه سبعة وهو قول ابن عباس رضى الله عنه لأن الله اعتبر القول بأنهم ثلاثة رابعهم كلبهم أو خمسة سادسهم كلبهم رجماً بالغيب. وسكت عن القول بأنهم سبعة . فدّل على أنه القول الصواب كما ذهب إلى ذلك ابن عباس رضي الله عنهما.

٥- اختلافات القصة فى التفاصيل كثيرة فيما أورده جوته، وهو مبني على الخيال وما ورد فى القرآن الكريم . وهو الحقّ الذي لا مرية فيه.

٦- حدد الله سبحانه وتعالى مكثهم بثلاثمائة عام . وهي أعوام ميلادية وازدادوا تسعًا إذا حسبت بالأعوام الهجرية فكل مائة عام ميلادي تساوي مائة وثلاثة أعوام هجرية.

اهتم جوته بقصة الكلب ووضع له تفاصيل من خياله. طردوه فأبى أن يذهب، انكسر حافره لكنه بقي ملتصقًا بسيّده الراعي وشفى من جراحه، وهو نائم معهم ﴿وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ﴾.

يتحدث جوته عن أربعه حيوانات بُشّرتْ بدخول الجنة، منها قطعًا كلب أهل الكهف.

يقول جوته فى قصيدته : الحيوانات المحظوظة :

كذلك بُشّرت أربع حيوانات بدخول الجنة

هناك يعيشون ألسنة الخالدة

مع الأولياء والأتقياء

هنا حمار هو الذي يتقدّم
وقد جاء بخطى حثيثة
لأن عيسى دخل مدينة الأنبياء على ظهره
وشبه هياب يأتي بعد ذلك ذئب
أمره النبي بهذا الأمر:
اترك هذه النعجة لهذا المسكين
وفى وسعك أن تأخذ نعجة من غني
ثم مع سيده الأمين
دائمًا حفيًا نشطًا
ها هو ذا الكلب ومعه بإخلاص
ينام نوم أهل الكهف
وأخيرًا ها هي ذي هرة أبي هريرة
تموء بالقرب من صاحبها وتلاطفه
لأن الحيوان الذي لاطفه النبي
يظل دائمًا حيوانًا مقدسًا

وما أعجب جوته وأرقّه . فهاته الحيوانات الأربع قد ارتبطت إما بالأنبياء أو بالصالحين فحمار عيسى قد دخل به المسيح إلى القدس يوم أحد الشعانين، فكان حريًا أن يدخل إلى الجنة ويرافقه فيها كما رافقه فى الدنيا.

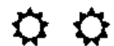
والثاني هو الذئب وقد ورد فى السيرة وعند ابن البر وغيره . كلّم الذئب من الصحابة ثلاثة: رائع بن عميرة، وسلمة بن الأكوع، وأهبان

بن أوس السلمي. كما وردت القصة فى صحيح البخاري وصحيح مسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه ومسند أحمد [١] .

وفى قصة أهبان السلمي أنه كان فى غنم له. فشدَّ الذئب على شاة منها فصاح به أهبان فأقعى الذئب وقال: أتنزع مني رزقا رزقنيه الله تعالى: فقال أهبان: ما سمعتُ ولا رأيتُ أعجبَ من هذا . ذئب يتكلم ؟ فقال الذئب : أتعجب من هذا ورسول الله ﷺ بين هذه النخلات – وأومأ بيده إلى المدينة- يحدِّثُ بما كان وبما يكون، ويدعو الناس إلي الله وإلى عبادته. وهم لا يجيبونه ؟ قال أهبان بن أوس السلمي: فجئت النبي ﷺ وأخبرته بالقصة وأسلمت فقال لي : حدثْ بذلك الناس.

والثالث هو قطمير كلب أهل الكهف الباسط ذراعيه بالوصيد ، وحارس السبعة النائمين، والرابع هو هرة أبي هريرة . وقد اشتهر بحبٍّ القطط وتبعته هرته حتى فى الجنة ، وقد لاطفها النبي ﷺ . لذا يقول جوته: دخلت الجنة لأن الذي لاطفه النبي يظل دائمًا حيوانًا مقدسًا».

ولا غرابة فقد ورد فى قصة حنين الجذع الذي كان يعتمد عليه الرسول ﷺ حين يخطب فلما صنعوا له المنبر ، صعد النبي ﷺ المنبر وترك الجذع، فحن حنينًا شديدًا سمعه الصحابة فى المسجد فنزل الرسول ﷺ من المنبر وخيَّره بين أن يبقى فى الدنيا مورقًا أبدًا وبين أن يدفنه ويكون رفيقه فى الجنة فاختار الجذع الجنة ومرافقة الرسولﷺ فإذا كان كذلك فى الجماد فلا غرابة أن يكون أمر الحيوان على ما ذكر . والله أعلم.



(١) أورد قصة الذئب البخاري فى صحيحه كتاب الأنبياء وفضائل الصحابة . والترمذي فى سننه (المناقب) ومسلم فى صحيحه (فضائل الصحابة) وابن ماجه فى سننه فى الأضاحي وأحمد فى مسنده ج٢ /٢٤٦ ، ٢٨٢ وج٣/٨٢، ٧٨، ٤٢، ٣٢، ٤٥٤ ، ٨٩، ٨٨، ٨٤.

المراجع

القرآن الكريم :

١- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لفؤاد عبد الباقي، كتاب الشعب – القاهرة .

٢- ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل بن كثير) : تفسير القرآن العظيم عيسي البابي الحلبي – القاهرة.

الحديث :

٣- ونسنك : المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، مكتبة بريل – لين – ١٩٣٦م (طبعة مصورة).

٤- محمد بن إسماعيل البخاري : صحيح البخاري (طبعة السلطان عبد الحميد الثاني) ١٣١١ (طبعة مصورة).

٥- مسلم القشيري : صحيح مسلم بشرح النووي دار الفكر ، بيروت.

٦- أبو عيسي الترمذي: سنن الترمذي (الجامع الصحيح) ، دار الفكر، بيروت ١٩٨٣.

٧- أحمد بن شعيب النسائي: سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية الندى، دار الكتب العلمية، بيروت.

٨- أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي: سنن أبي داود، دار الفكر ، بيروت.

٩- محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري: المستدرك علي الصحيحين، دار الكتب العلمية – بيروت ، ١٩٩٠.

● **الكتاب المقدس والموسوعات:**

١٠- الكتاب المقدس ، دار الكتاب المقدس ، القاهرة.

١١- محمد علي البار : الله والأنبياء فى التوراة والعهد القديم – دار القلم دمشق ، الدار الشامية – بيروت، ١٩٩٠.

١٢- دائرة المعارف البريطانية الطبعة ١٥ لعام ١٩٨٢.

١٣- الموسوعة العربية العالمية ط ٢ ، الرياض، ١٩٩٩ .

١٤- الموسوعة العربية الميسرة .

١٥- عبد الوهاب المسيري : موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية (الموسوعة الموجزة) دار الشروق – القاهرة ط٢ – ٢٠٠٦.

● **كتب عن جوته :**

١٦- د. عبد الرحمن بدوي: جيته : الديوان الشرقي للمؤلف الغربي المؤسسة العربية للدراسات والنشر ط٢ بيروت ١٩٨٠.

١٧- ول ديورانت : قصة الحضار ترجمة فؤاد اندراوس ، دار الجيل بيروت – والمنظمة العربية للثقافة والعلوم تونس – ج ٤١ / ٢٤٥-٢٦٣.

١٨- صديق شيبوب : جوته سلسلة اقرأ ، دار المعارف القاهرة ، ١٩٤٥.

١٩- كتاب تراث الإنسانية : الفرس لايسخيليوس عرض الدكتور محمد سليم سالم ج٤ / ٦٢٠- ٦٢٧.

٢٠- ابتهال محمد البار: جوته شاعر الإسلام مجلة «أهلاً وسهلاً» جمادى الأولى ١٤٢٣هـ / أغسطس ٢٠٠٢ .

● **كتب أخرى (دواوين شعر) :**

٢١- الحبيب عبد الله الحداد: الدر المنظوم لذوي العقول والفهوم عيسى البابي الحلبي القاهرة ١٩٨٠ .

٢٢- د. شهاب غانم : أقمشة السماء – دار الصدى للصحافة والنشر دبـــي ، ٢٠٠٦ .



الفهرس

جوته والديوان الشرقي

❁❁



جُوتَه

عُرف جوته كواحد من أشهر أدباء وشعراء أوروبا في النصف الأخير من القرن الثامن عشر والنصف الأول من القرن التاسع عشر. وحفظت له المكتبات العالمية بعديد من دواوين الشعر والمسرحيات التي أثارت انتباه جميع المثقفين في العالم.

ولم يكن جوته أديبًا بارعًا فحسب بل كان سياسيًا مرموقًا شغل مناصب مؤثرة في ألمانيا.

وإذا كان العالم الغربي في بلده ألمانيا وفي البلاد المجاورة قد كرموا جوته أفضل تكريم إلا أنهم عمدوا إلى إخفاء الجانب الروحاني في حياته حيث تجاهلوا أحد دواوينه المهمة وهو (الديوان الشرقي للمؤلف الغربي) الذي كتبه بعد مطالعته للقرآن الكريم وتوسعه في قراءة الشعر الإسلامي، وأظهر فيه جوته ميله للدين الإسلامي واعترافه بالقرآن الكريم كدستور ومنهج للبشرية وبمحمد ﷺ كنبي ومبلغ للرسالة المقدسة.

وفي هذا الكتاب يعرض المؤلف جوانب من حياة الشاعر الألماني العظيم، ويعطي الفرصة لبعض كتاباته المنصفة لكي تظهر على سطح الساحة الأدبية بعد أن واراها المغرضون التراب كما فعلوا مع الكثير من أمثالها.

نرجو أن يكون هذا الكتاب من قبيل الحق والإنصاف لأديب جاد عاقل أعمل عقله وفكره في جوانب الحياة ولم يتحرك مع التيار الغربي الذي حاول أن يشوه صورة الإسلام وأهله.

الناشر